٦٩

روايات مصرية للجيب

ملف المستقبل

سري جداً !؟



العالم الآخر


نور الدين


سلوى


رمزى


محمود

١ ــ صُورَة سَلْبِيَّة ..

ران هدوء نسبىّ ، على قاعدة الفضاء المصرية ، فى الصحراء الغربية ، وبدا مظهرها أشبه بقاعدة مهجورة خالية ، لولا مكُوك الفضاء ، القابع على مِنصَّة الإطلاق ، وتلك الأبخرة الباردة ، التى تتصاعد من فُوَّهة العادم فى قاعدته ، وتلك الأضواء المتألِّقة فى نوافذ مَبْنَى المُرَاقبة ، فى طرف القاعدة ..

وفى هدوء وآليَّة ، ارتفع ، عَبْرَ مكبِّرات الصوت ، نداء قائد القاعدة ، وهو يقول :

ــ تمت مراجعة كل النقاط ، ومازلنا نواصل العدّ التنازلىّ ، وسيتم الإطلاق بعد خمس دقائق .

عاد الهدوء يسود بعد عبارته ، التى تتكرَّر كل خمس دقائق تقريبًا ، وراح العاملون بالقاعدة يراقبون شاشة العدّ التنازلىّ ، التى ترتسم فوقها الأرقام بلون أخضر برَّاق ، وبترتيب تنازلىّ رتيب ، على حين عقد قائد القاعدة حاجبيه ، داخل قاعة المراقبة ، وهو يغمغم :

— ستبدأ بعد دقائق واحدةٌ من الرحلات المقلقة فى برنامجنا .

ابتسم مساعده ، وقال :

— عجبًا!! .. إننى أراها رحلة روتينيةً يا سيِّدى .

قال القائد فى عصبيَّة :

— أخطأت الرؤية إذن .

أخفى مساعده ابتسامته ، وهو يشيح بوجهه ، على حين استطرد هو فى توتُّر :

— هل نسيت الغرض من تلك الرحلة ؟.. إنهم فى طريقهم لسَبْر أغوار تلك السحابة الكونية الغامضة .

ولوَّح بكَفِّه ، مردفًا :

— لقد بدأ ذلك منذ أسبوعين ، عندما كشف مرصدنا الإليكترونى الحديث سحابة كونيَّة ، تعبُر مجموعتنا الشمسية ، وأثار هذا اهتمامهم فى شِدَّة ، فأولَوْا الأمر جُلَّ اهتمامهم ، ولكن هذا لم يؤدِّ إلَّا إلى مزيد من الحَيْرَة .

تنهَّد فى عمق ، وكأنما يستعيد ذكرى تلك الأيام ، وتابع حديثه ، قائلًا :

— لقد كانت تلك السحابة متألِّقة على نحو عجيب ،

وكانت تتخذ مسارًا حلزونيًا ، يؤكد حتمية عُبُورها غلافنا الجوِّىَّ ، فى طريقها إلى الشمس .

غمغم المساعد فى خُفُوت :

— لقد أبلغونا بذلك رسميًا .

رفع القائد سبَّابته ، وقال فى حزم :

— هناك ما لم يبلغونا به رسميًا .

التفت إليه مساعده فى اهتمام ، وهو يقول :

— ما هذا يا سيِّدى ؟

ازداد انعقاد حاجبَي القائد ، وهو يقول :

— لقد حاول العلماء تحليل مكوِّنات تلك السحابة الكونيَّة ، بواسطة المنظار الطَّيفىّ(*) ، ولكن النتائج جاءت مثيرة ومقلقة ، إذ تبيَّن أن مواد تلك السحابة الغامضة مجهولة ، وغير معروفة تمامًا ، مما يجعل نتائج عبورها لغلافنا الجوىّ مجهولة ، وغامضة .

صمت لحظة ، ثم أردف فى صوت مرتجف :

— ومخيفة .

(*) المنظار الطيفى (سبكتروسكوب) : عبارة عن منظار ، يلتقط ألوان الطَّيف ، ويرسم لكل معدن معروف خطوطًا سوداء خاصة ، فى منطقة من مناطق الطيف ، يمكن بواسطتها تحديد كل المعادن المعروفة .

انتقل توتُّره إلى مساعده ، وهو يغمغم :

ــ ماذا تقصد يا سيِّدى ؟

تنهَّد القائد ، وقال :

ــ إنها مادَّة مجهولة ، لا أحد يدرى ما إذا كان التقاؤها بغلافنا الجوِّىّ ، بكل مكوِّناته الغازيَّة ، سيمضى فى سلام ، أو ستنشأ عنه تفاعلات جديدة ، أو قاتلة .

غمغم المساعد فى توتُّر بالغ :

ــ يا إلهى !!

واصل القائد حديثه ، قائلًا :

ــ لم يكن هناك حلّ ، لحسم ذلك الموقف ، سوى إرسال سفينة فضائيَّة ، للحصول على عيِّنة من مادَّة السحابة الكونيَّة ، والعودة بها إلى الأرض ، لدراسة مكوِّناتها ، واتخاذ ما يلزم لضمان عدم الإضرار بالأرض .

وتنهَّد مرَّة أخرى ، قبل أن يتابع :

ــ ولعلك تذكر كيف أطلقنا سفينة آليَّة ، فى الأسبوع الماضى ، وكيف أنها لم تكد تقترب من السحابة ، حتى أصابها خلل تامّ ، وفقدنا كل اتصال بها ، فضاعت فى الفضاء ، ولم نعرف أبدًا ما الذى وجدته .

غمغم المساعد فى رهبة :

ــ ربَّاه !!.. لقد تصوَّرت آنذاك أنه .....

(*) راجع (نداء النجوم) المغامرة رقم 14

قاطعه قائده فى توتُّر :

ــ لقد أخفَوُا الخبر بالطبع ، وأحاطوه بدرجة من السِّرِّيَّة ، خشية إثارة موجة من الفزَع والذُّعر ، قبل تبيُّن الأسباب الحقيقيَّة لما حدث ..

رانَ عليهما الصمت لحظات ، ثم ارتفع صوت آلىّ يقول :

ــ انتهى العدُّ التنازلىّ .. الإطلاق الآن ..

لم يكد ذلك الصوت المعدنىّ يلقى آخر حروفه ، حتى انطلق شـلَّال من نيران بيضـاء ، من فُوَّهة عادم مكُّوك الفضاء ، الذى انطلق بلا صَوْت تقريبًا وبسرعة مذهلة ، قاده إليها ذلك الوقود الأمينى الخاصّ ، الذى تمَّ ابتكاره فى السنوات الأخيرة من القرن العشرين ، وتابع القائد ومساعده انطلاق المكُّوك ، حتى تجاوز الغلاف الجوِّىّ ، فغمغم القائد ، وقد تضاعف توتُّره على نحو ملحوظ :

ــ هذا المكُّوك يحوى ثلاثة روَّاد فضاء بشريين ، بعد أن قرَّر الخبراء أنه من المحتَّم قيادة المكُّوك يدويًّا ، لتفادى أيَّة اضطرابات إليكترونية ، أو كهرومغناطيسية ، قد تنشأ من تلك السحابة المجهولة .

غمغم مساعده فى توتُّر ، وهو يتابع شاشة الرَّاصِد :

ــ بهذه السرعة المذهلة ، سيبلغون السحابة قبل نصف يوم .

وافقه قائده بإيماءة من رأسه ، وقال :

ــ نعم .. وبعدها سنتوصَّل إلى ما نريد ، أو .....

وارتجف صوته ، وهو يستطرد :

ــ أو نفقد مزيدًا من الضحايا .

* * *

« لقد اقتربنا من السحابة .. » ..

عَبَرَت تلك الجملة أجهزة الاتصال ، فارتجفت أجساد طاقم المراقبة فى انفعال ، بعد نصف يوم من الانتظار ، ومال قائد القاعدة نحو بُوق جهاز الاتصال ، وقال :

ــ من القاعدة إلى المكُوك .. هل تعمل كل الأجهزة بانتظام ؟

أجابه قائد المكُوك :

ــ كل شىء يسير على ما يرام ، ونحن نقترب من السحابة الغامضة ، وهى تبدو شديدة التألُّق ، كأنما هى مصنوعة من الفضَّة الخالِصَة ، و .....

بتر الرجل عبارته بغتة ، وانطلقت من حنجرته شهقة قويَّة ، ارتجفت لها أجساد طاقم المراقبة كله ، قبل أن يهتف قائد القاعدة فى توتُّر :

ــ ماذا حدث ؟.. أجب بالله عليك .. ماذا حدث ؟

أتاه صوت قائد المكُوك ، يهتف فى ذُعر :

ــ هذا مستحيل !!.. ولكننا نراه فى وضوح .. فى وضوح كامل .

صرخ قائد القاعدة فى انفعال رهيب :

ــ ما الذى ترَوْنه ؟.. ما الذى تَرَوْنه ؟

هتف قائد المكُوك فى ارتياع :

ــ لن تصدِّقونى .. لن يصدِّقنى أحد .

صرخ القائد فى مرارة :

ــ أخبرنا ما ترَوْنه بالله عليك ، ودَعْ لنا مهمَّة التصديق من عدمه .

مضت لحظة من الصمت ، بدت للجميع أشبه بدهر كامل ، قبل أن يرتفع صوت قائد المكُوك ، هاتفًا :

ــ هناك كوكب كامل .. كوكب مأهول ، خلف السحابة .

ارتسم الذُّهول على وجوه الجميع ، وتبادلوا نظرات ارتياع ، قبل أن يغمغم قائد القاعدة فى ذُهول :

ــ ماذا تقول يا رجل ؟.. هل أصابك الجنون ؟

هتف قائد المكُوك :

ــ ربَّما .. ربَّما أصابنا الجنون جميعًا ، فثلاثتنا نرى الشىء نفسه .. كوكبًا ضخمًا ، أشبه بصورة سلبية .. كوكبًا يشبه الأ .....

صرخ فجأة ، باترًا عبارته ، ومستطردًا فى ارتياع :

ــ هناك مكُوك فضائىّ ينقضّ علينا .. إنه أيضًا أشبه بصورة سلبية .. إنه سيرتطم بنا مباشرة .. إنه ......

انطلق من جهاز الاتصال فجأة أزيز عنيف ، وصراخ بشرىّ مُرْعب مخيف ، هوَت له قلوب الجميع بين أقدامهم . قبل أن يسود صمت تام ، عَبْر أجهزة الاتصال ، ويصرخ مراقب الرادار الفضائىّ فى رُعْب :

ــ لقد عَبَر المكُوك السحابة الغامضة .. و .. و .....

صرخ به قائد القاعدة :

ــ وماذا ؟

انهار الرجل ، وهو يجيب فى مرارة :

ــ واختفى .. اختفى تمامًا ..

اتسعت عينا قائد القاعدة ، وهو يتراجع هاتفًا فى ارتياع :

ــ اختفى ..؟

ولم يُحِرْ أحد الحاضرين جوابًا ..

لقد بَقِىَ الصمت ..

الصمتُ التامّ ..

* * *



اتسعت عينا قائد القاعدة ، وهو يتراجع هاتفًا فى ارتياع :

ــ اختفى ..؟

٢ ـ المتطوِّع ..

رفع الرائد (نور الدين) كفّه ، أمام جهاز تحقيق الشخصية ، فى حجرة أمن مبنى إدارة المخابرات العلمية ، وانتظر هادئًا ، حتى أضاءت شاشة الجهاز بلون فيروزىّ ، وتراصّت فوقها كلمات صفراء مضيئة ، تقول :

ـ رسم البصمات مطابق .. المسامّ العرقية مماثلة .

أبعد (نور) كفّه عن الجهاز ، وغمغم حارس الأمن ، فى لهجة أقرب إلى الاعتذار :

ـ إنها التعليمات يا سيادة الرائد .

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

ـ أعلم ذلك .

ثم دَلَف عَبْرَ الباب الواسع للإدارة ، ووقف ساكنًا ، عاقدًا كفَّيْه خلف ظهره ، على حين راح الطريق المتحرِّك يسير به نحو بوَّابة أخرى ، عَبَرَها (نور) ، وتخلَّى بعدها عن الطريق المتحرِّك ، وابتعد على قدميه يسارًا ، حتى بلغ حجرة مربعة

صغيرة ، وقف فى منتصفها ثابتًا ، على حين انبعث ضوء وردىّ خافت ، سقط على وجهه لحظات ، ثم تراجع فى خُفُوت ، وراحت أرضيَّة الحجرة تهبط تحت (نور) ، حتى توقَّفت أمام باب حلزونىّ ، انفتح فى خُفُوت ، فَعَبَره (نور) إلى حجرة فسيحة ، اجتازها فى خُطوات واسعة ، وتوقَّف أمام مكتب القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، وأدَّى التحية العسكرية ، قائلًا :

ـ الرائد (نور الدين) فى خدمتك يا سيِّدى .

أشار إليه القائد الأعلى بالجلوس ، وقال :

ـ لن نتبادل حديثًا طويلًا يا (نور) ، قبل أن تستمع إلى تلك التسجيلات .

لاذ كلاهما بالصمت تمامًا ، على حين راح (نور) يستمع فى اهتمام ، إلى تلك التسجيلات ، التى دارت بين القاعدة ومكُّوك الفضاء ، وانعقد حاجباه ، وتوتَّرت عضلات وجهه فى شِدَّة ، عندما بلغ النهاية ، واجتاحه انفعال قوىّ ، حتى أنه لم يَنْبس ببنتِ شَفَة ، وكذلك القائد الأعلى ، لخمس دقائق كاملة بعد انتهاء التسجيلات ، إلى أن قطع (نور) حاجز الصمت ، مغمغمًا فى صوت أجشّ :

ـ هل اختفَوْا تمامًا ؟

تنهّد القائد الأعلى ، مغمغمًا :

ـــ تمامًا :

ثم استعاد صوته حزمه ، وهو يستطرد :

ـــ ولكنهم تركوا لنا عشرات المخاوف والألغاز .

أجابه (نور) فى انفعال :

ـــ بالتأكيد ، فطبقًا لحديثهم ، هناك كوكب غامض ، خلف تلك السحابة .. كوكب لم تلتقطه أجهزتنا ، أو مناظيرنا الفلكية المتطوّرة .

وافقه القائد الأعلى بإيماءة من ذقنه ، وقال :

ـــ يقول خبراؤنا إنه من المحتمل أن يكون ذلك الكوكب عبارة عن سفينة فضائية ضخمة ، من كوكب آخر ، وأنّ تلك السحابة ليست سوى وسيلة تخفٍّ ، توحِى بأن غرض تلك السفينة الضخمة هو الغزو .. غزو كوكبنا .

ارتجف جسد (نور) للفكرة ، وغمغم :

ـــ يا إلهى !!

ثم أردف فى توتُّر :

ـــ وما الوسيلة للتحقُّق من ذلك يا سيِّدى ؟

هزّ القائد الأعلى كتفيه ، وقال :

ـــ يُصِرُّ بعض علمائنا على أن الأمر أوضح من أن نتحقَّق منه ، خاصَّة وأن مكُّوكًا فضائيًا مجهولًا هاجم مكُّوكنا ، قبيل اختفائه ، بحسب التسجيلات ، ولكن البعض الآخر يرى حتميَّة التحقُّق من ذلك ، خاصَّة وأننا ما زلنا نجهل طبيعة تلك السحابة الغامضة ، ومخاطر مرورها بغلافنا الجوىّ .

وتنهَّد مرَّة أخرى ، قبل أن يستطرد :

ـــ المشكلة هى أننا نحتاج إلى مكُّوك فضائىّ قتالىّ ، يقوده بشرىّ ، يمكنه أن يقاتل ، وأن يعدِّل خطَّته وخط سيره ، طبقًا لمتغيِّرات الأمور ، و .....

بتر عبارته ، ولاذ بالصمت لحظات ، فأكمل (نور) فى حزم :

ـــ باختصار ، أنتم تحتاجون إلى متطوِّع يا سيِّدى .

تطلَّع إليه القائد الأعلى بعينين مشفقتين ، قبل أن يغمغم فى صوت خافت :

ـــ بالضبط .

ثم أسرع يضيف :

ـــ ولقد زوَّدنا المكُّوك الفضائىّ هذه المرَّة ببرنامج خاصّ ، يقود مساره كله إلى العودة ، فوْر تعرُّضه لخطر داهم ، أو

تعرُض أجهزتـه لأىّ نوع من الخلَل ، تحت تأثير موجـات كهرومغناطيسية ، أو استاتيكية، و .....

قاطعه (نور) فى هدوء :

ــ إننى أتطوّع يا سيّدى .

صمت القـائد الأعلى تمامًا ، ثم غمغم فى صـوت خـافت للغاية :

ــ كنت أتوقّع ذلك .

رانَ عليهما صمت تام ، قبل أن يرفع القائد الأعلى عينيه إلى (نور) ، ويقول فى لهجة أقرب إلى العطف الأبوىّ :

ــ لسنا نطالبك بالتضحية بحياتك ، من أجل الأرض يا (نور) ، وهذا يَعْنِى أنه عليك أن تعود فورًا ، إذا ما شعرت بأنك تواجه خطرًا داهمًا ، أو .....

قاطعه (نور) ، وهو يبتسم فى هدوء :

ــ اطمئنّ يا سيّدى ، سيسير كل شىء على ما يُرام بإذن الله .

ومرّت فى ابتسامته مَوْجة مرتبكة ، مُضطَربة ، متوتّرة ، وهو يُرْدف :

ــ بقدر الإمكان .

* * *

تلألأت دمعة قلقة ، فى عينى (سلوى) ، وهى تتطلّع إلى زوجها ، وتغمغم فى حُزن وخُفوت :

ــ أمِنَ الضرورىّ أن تذهب ؟

أجابها (نور) فى هدوء :

ــ إنه عملى .

غمغمت فى حُزْن :

ــ لقد تطوّعت .

صمت لحظة ، ثم أجاب :

ــ إنها طبيعتى .

انحدرت دمعة حزينة على وجنتيها ، وهى تغمغم :

ــ (نور)

التفت إليـها ، وارتفع حاجبـاه فى حنـان وإشفـاق ، وهـو يقول :

ــ ماذا تريدين يا زوجتى العزيزة ؟

سـألته فى صوت باكٍ :

ــ هل ستعود ؟

انتقل حزنها إلى عينيه ، وهو يغمغم :

ــ لست أدرى .

ثم أجبر شفتيه على الابتسام ، مستطردًا :

— هل ستنتظرينني ؟

هتفت فى حرارة :

— حتى آخر العمر .

ثم ألقت نفسها بين ذراعيه ، وتركت لدموعها العِنان ، وهى تهتف :

— (نور) .. سأذهب معك .. سنحيا معًا أو نموت معًا .

ضمَّها إليه فى حنان ، وتحسَّس شعرها ، مغمغمًا :

— كنت أتمنَّى ذلك يا عزيزتى ، ولكن رحلتى لا تتسع إلا لبشرىٍّ واحد .

تفجَّرت دموعها فى صَدْره ، فربَّت على ظهرها ، مستطردًا :

— سأعود بإذن الله يا (سلوى) .. أعدك أن أبذل أقصى طاقتى لأعود ..

هتفت فى حرارة :

— نعم يا (نور) .. ستعود .. ستعود حتمًا بإذن الله .

* * *

« هنا الرائد (نور الدين) .. من مكُّوك الفضاء (نصر ٦٠٠) .. إننى أقترب من الهدف .. وأراه أمامى فى وضوح .. » .

انتقلت تلك الرسالة ، من الفضاء إلى الأرض ، واستقبلتها أجهزة قسم المراقبة ، فى القاعدة الفضائية ، فغمغم قائد القاعدة فى توتُّر :

— نفس الرسالة .

أجابه مساعده :

— كم أتعشَّم ألَّا تنتهى بنفس النهاية .

رانَ عليهما الصمت ، وهما يستمعان إلى (نور) ، الذى أخذ يقول :

— لست أرى شيئًا من هنا .. فقط سحابة لامعة متألِّقة ، كسطح من الفِضة ، ولكن لا كواكب أو سفن فضاء .

بدا له كل شىء هادئًا ساكنًا ، وهو يتجه نحو السحابة ، ثم لم تلبث أجهزة الالتقاط فى القاعدة ، أن نقلت شهقة قويَّة من حنجرته ، جعلت قائد القاعدة يهتف فى ذُعْر :

— ماذا حدث أيها الرائد (نور) ؟.. ماذا حدث بالله عليك ؟

أتاه صوت (نور) مُغمغمًا بالانفعال ، وهو يقول :

— لقد رأيته فجأة .. ذلك الكوكب الذى تحدَّثوا عنه .. إنه يشبه حقًّا صورة سلبيَّة ، ولكن .....

بتر عبارته دفعة واحدة ، ليهتف :

ـ يا إلهى !!

صاح قائد القاعدة فى ارتياع ، وقد أعاد الموقف إلى ذهنه أحداث الرحلة السابقة :

ـ ماذا حدث هذه المرّة ؟

هتف (نور) :

ـ إنه نسخة من كوكب الأرض .. نسخة سلبية معكوسة .. إنه خلف السحابة .. لابدّ من اختراقها للوصول إليه .

صاح القائد الأعلى للمخابرات العلميّة ، الذى كان يستمع إلى الحديث :

ـ لا تخترقها يا (نور) .. خذ منها عينة فحسب ، وعُد على الفور ، لا تحاول اختراقها أبدًا .

أتاه صوت (نور) يقول :

ـ فات الوقت يا سيّدى .. يبدو أن تلك السحابة اللّعينة تجذبنى إليها .

صاح القائد الأعلى فى ذُعر :

ـ عُد يا (نور) .. عُد على الفوْر .. قُمْ بتشغيل برنامج العَوْدة الآلىّ ، وعُد .

ضغط (نور) زرّ تشغيل جهاز العودة الآلىّ ، ثم اتسعت عيناه فى ذُهول ، وهو يهتف :

ـ لقد ظهر أمامى فجأةً مكُوك فضائىّ سلبىّ .. إنه سيصطدم بى مباشرةً .. إنه ......

وفجأة صدر ذلك الأزيز القوىّ ، و .....

واختفى مكُوك (نور) من فوق شاشة الرّادار الفضائىّ .. اختفى تمامًا ..

* * *





كان يشعر بصداع عنيف ، يمتدُّ من جانبى رأسه إلى أذنيه ، إلى مؤخرة عنقه ..

٣ ــ المطارَد ..

ارتجاجة قويّة أيقظت الرائد (نور) ..

ارتطام عنيف استعادهُ من غيبوبته ..

وراح المكُوك الفضائىّ يتأرجح فى بطء ، كأنما هو يسبح فوق بحر هادئ ، على حين فتح (نور) عينيه فى بطء ..

وكان الظلام يسود قلب المكُوك تمامًا ..

ظلام دامس ..

وتأوّه (نور) فى ألم ، وهو يُمسك جانبى رأسه ..

كان يشعر بصداع عنيف ، يمتدُّ من جانبى رأسه إلى أذنيه ، إلى مؤخرة عنقه ..

ولم يكن يدرى ماذا حدث ..

آخر مايذكره هو ثورة من الجنون ، أصابت أجهزة المكُوك ، عندما اصطدم بذلك المكُوك السلبىّ ..

ارتباك هائل أصاب كل شىء ..

كل النظم الآليّة ..

كل أجهزة الكمبيوتر ..

كل البرامج المعدّة مُسبَقًا ..

ثم تذكَّر كيف حاول الانتقام إلى القيادة اليدويّة ، وتشغيل برنامج العَوْدة ، و .....

وبعدها لا يذكر شيئًا ..

فقط يشعر بذلك الصُّداع المؤلم ..

ولكن أين هو ؟..

هل عَبَرَ السحابة الفِضيَّة المخيفة ؟..

هل هبط على ذلك الكوكب الآخر ، المماثل للأرض ؟..

عشرات الأسئلة كانت تُعربد فى رأسه فى عنف ، لتختلط بصُداعه المؤلم ، فيصنعان مزيجًا رهيبًا ، مخيفًا ..

ثم هناك الصمت ..

الصمت التامّ المحيط به ..

ولكنه تنفس ..

ما زال الجوُّ المحيط به يصلح للتنفُّس إذن ..

اعتدل واقفًا على قدميه ، وراح يتحسَّس طريقه ، بحثًا عن طريق الخروج ، حتى عثر على مِقْبَض الباب ، فتردَّد لحظة ، وهو يغمغم .

ـــ وماذا لو كان الجوّ خارجًا لا يصلح للحياة ؟!.. إننى لا أرتدى زِىّ الفضاء الخاصّ ، و .....

بتر عبارته لحظة ، ثم غمغم فى حزم :

ـــ كلَّا يا (نور) .. لقد تعطَّلت كل أجهزة المكُّوك ، بما فى ذلك أجهزة إنتاج الأكسوجين ، وهذا يَعْنِى أن كل ما أتنفسه الآن يأتى من مصدر طبيعىّ .. من الخارج .

وفى حزم ، وبأسلوب رجل يثق فى صدق استنتاجه تمامًا ، أدار مِقْبَض الباب ، وفتحه ، و .....

وواجه الموقف ..

فى البداية بهره ضوء الشمس ، فأغلق عينيه فى ألم ، ثم راح يفتحهما فى بطء ..

واتسعت عيناه عن آخرهما ..

لقد كان المكُّوك يسبح فوق بحر ..

وكان هناك شاطئ صخرىّ قريب ..

وشمس ساطعة ..

وطيور ..

وسحب ..

كل هذا كان من الممكن أن يبدو مشهدًا طبيعيًا ..

لولا الألوان ..

أو بمعنى أدق ، لولا عدم وجود ألوان ..

لقد كان المشهد كله يتكوَّن من اللَّونيْن : الأبيض والأسود فقط ..

وعلى نحو معكوس ..

تمامًا كصورة سلبيَّة (نيجاتيف) ، من اللونين : الأبيض والأسود ..

ودارت رأس (نور) ..

مادَتْ به الأرض ، وهو يحاول التشبُّث بحافة الباب ..

إنه ليس فى عالمه ..

لقد هَوى به مكُوك الفضاء فى ذلك العالم الآخر ..

فى الكوكب السلبىّ ..

تغلَّب على ذهوله ومرارته فى صعوبة ، وعاد إلى المكُوك ، محاولًا إصلاحه ، إلَّا أن ذلك قد بدا له مستحيلًا ، نظرًا لقلَّة خبرته ..

ومرَّة أخرى عاد يتطلَّع إلى ذلك العالَم العجيب ..

ومرَّة أخرى عاوده ذلك الصُّداع المؤلم ..

كان من العسير على عينيه أن تستوعبا ذلك العالم السلبىّ المعكوس ، بلونيه : الأبيض والأسود ..

هو نفسه بدا كجزء من الصورة ، بثوبه الأسود ، وقفازيْه السوداوين ..

ولكن عليه ألَّا يستسلم ..

صحيح أنه لا يدرى كيف هبط على سطح ذلك الكوكب ، ولا كيف يمكنه أن يعود إلى عالمه ، ولكنه لن يستسلم ..

لن يستسلم أبدًا ..

وفى حزم ، قفز فى الماء ، وراح يسبح نحو الشاطئ الصخرىّ ..

نحو الأمل ..

* * *

اقتحمت (سلوى) حجرة الدكتور (عبد الله) ، مدير إدارة البحث العلمىّ ، التابعة للمخابرات العلميَّة ، وهى تهتف فى غضب :

— أين زوجى يا دكتور (عبد الله) ؟

نهض الدكتور (عبد الله) من خلف مكتبه ، وهو يقول :

— مرحبًا يا (سلوى) .. اجلسى .. سنناقش الأمر ، و.....

هتفت فى حِدَّة :

— لست مستعدَّة لمناقشة أيَّة أمور .. أريد زوجى فحسب .

زفر الدكتور (عبد الله) فى توتُّر ، وعاد يجلس ، ويضمّ كفَّيه على سطح مكتبه ، قائلًا :

— من الواضح أنه قد حدث خلل ما ، فى برنامج العَوْدة الآلىّ ، و .....

قاطعته فى عصبيّة :

— وماذا ؟

زفر مرّة أخرى ، ثم قال فى توتُّر :

— اسمعى يا (سلوى) .. إننا لم نقتل زوجك .. لقد تطوّع للمهمّة بمحض إرادته .

تفجَّرت الدموع من عينيها بغتة ، وهى تقول :

— أعلم ذلك .. لقد تطوّع بمحض إرادته .

ثم انخرطت فجأة فى بكاء شديد ، جعل حاجبا الدكتور (عبد الله) يرتفعان فى إشفاق ، وهو ينهض من خلف مكتبه ، ويربّت على كتفيها ، مغمغمًا :

— هذا لا يَعْنى أن نتخلَّى عنه .

سألته باكية :

— وماذا يمكنك أنْ تفعل ؟

تنهَّد مغمغمًا :

— الكثير .

ثم أضاف فى توتُّر :

— سنرسل فرقة .. فرقة بحث ..

* * *

بلغ (نور) الشاطئ الصخرىّ ، وتسلّق الصخور فى صعوبة ، حتى بلغ منطقة مسطَّحة ، ألْقى جسده فوقها ، وراح يلهث فى شدَّة ، من فرط ما بذله من جهد وانفعال ..

لم يكن قد تآلف بعدُ مع تلك المشاهد ، فى ذلك العالَم ، الذى يبدو حوله كـ (نيجاتيف) لصورة غير ملوَّنة ..

وأدار بصره يبحث عن مكوكه الفضائىّ ، ولكنه لم يجد له أثرًا ، إذ باتَ من الواضح أنه قد غاص فى الماء ..

وفى محاولة مستميتة ، راح (نور) يجبر جسده على الاسترخاء ، ليفكّر ..

لقد فقد مكُوكه الفضائىّ ، ولم يَعُد يملك وسيلة للعوْدة إلى عالَمه ، وهذا العالَم المحيط به يبدو شبيهًا بالأرض ..

نعم ..

لقد رأى ذلك الكوكب ، قبل أن يهبط على سطحه ..

رآه أشبه بصورة سلبية لكوكب الأرض ..

كل شىء هنا سلبىّ إذن ..
ولكن هل توجد هنا حياة ؟..
بالطبع ..
لقد هاجمه مكُوك سلبىّ أيضًا .
ينبغى أن يركّز تفكيره ، ويستعرض الأمر فى هدوء ..
كل الظواهر تؤكد أنه على كوكب مشابه للأرض ..
كوكب عكسىّ سلبىّ ..
تمامًا كنسخة سلبيَّة معدَّة للطبع ..
وستكون هناك مخلوقات سلبيَّة ..
وتكنولوچيا ..
كل ماعليه هو أنْ يجد طريقه إلى إحدى قواعدهم الفضائية ، ويسرق مكُوكًا فضائيًا منهم ، ثم يعود إلى كوكبه .. إلى عالَمه ..
يا إلهى !! .. كم بدا القول سهلًا ، وكم يبدو الفعل عسيرًا ..
لا ريب أن مخلوقات هذا الكوكب قد رصدت هبوطه ..
ولا شك فى أنهم سيطاردونه ..
سيسعَوْن لاقتناصه وأسره ..
سيحاولون الإمساك به ، لدراسته وتشريحه ..

لتحويله إلى حيوان تجارب ..
إلى فأر مختبرات ..
ولكن هيهات ..
سيثبت لهم أنه ليس بالفريسة السهلة ، وأنه مقاتل شرِس شجاع ، ذو بأس وجسارة ..
سيقاتلهم حتى آخر رَمَق ..
سيقاتل وحده عالَمهم كله ..
وفجأة .. بدت أمامه هليوكوبتر نفَّاثة ، من ذلك العالَم ..
ورأى تلك الهليوكوبتر تنقضّ عليه ..
وكانت تنقضُّ فى صمت تام ..
وفى رشاقة ، قفز منها جسدان ، أشبه بأجساد البشر ، يرتديان ثوبيْن يُخفيان كل جسديهما ، تمامًا كثياب روّاد الفضاء ..
ورآهما (نور) يصوِّبان قضيبيْن معدنيَّيْن إليه ، فى صمت رهيب ..
وأيقن من أن اللحظة قد حانت ..
لحظة القتال ..

* * *



وفى رشاقة ، قفز منها جسدان أشبه بأجساد البشر ، يرتديان ثوبين يُخفيان كل جسديهما ، تمامًا كثياب روّاد الفضاء ..

٤ ــ المُقاتِل ..

تحرَّك (نور) فى سرعة مدهشة ..

قفز من مكانه فى مرونة بالغة ، وانقضَّ على الرجلَين ، اللذين تراجعا فى دهشة ولم يقاوماه ، عندما رفع قدمه فى سرعة ، وركل بها أحدهما فى وجهه ، ثم استدار إلى الآخر ..

ولقد أدهشه ردّ فعل الآخر كثيرًا ..

إنه لم يهاجم ..

إنه حتى لم يحاول ..

لقد تراجع فى ذُعر واضح ، ولوّح بذراعيه فى قوّة ..

وهناك فقط تنبَّه (نور) إلى نقطة مُذهِلة ، لم ينتبه إليها إلّا الآن ..

إنه ، ومنذ هُبوط المكُوك فى ذلك العالَم ، يعيش فى صمت تام ..

صمت رهيب ..

ربّما لأن ذلك العالَم بلا أصوات ..

أو لأنه هو فقد حاسّة السَّمع ..

لقد كان ذلك الطنين ، الذى يدوّى فى عقله ، يحجب عنه تلك الحقيقة ..

وبكل ما يملك من قوّة ، صرخ (نور) ..

ولكنه لم يسمع صرخته ..

لقد فقد حاسّة السّمع ..

فقدها تمامًا ..

وفجأة .. انتفضت كل خليّة من خلايا جسد (نور) ..

لقد أمسك الرجل الثانى بذراعه بغتة ..

وبكل ما يملأ نفسه من توتُّر وغضب وانفعال ، دار (نور) على عقبيْه ، ولكَمَ الرجل بكل ما يملك من قوّة ، ثم انتزع من حزام الرجل مسدسًا ليزريًا ، هو صورة طبق الأصل من مسدساتهم الأرضية ، وصرخ :

ــ لن تمسكوا بى أبدًا .

ولم يسمع صرخته ..

كان من الواضح أنّ الرجل قد سمعها ؛ لأنه عاد يتراجع فى جدّة ، ولكنه هو لم يسمعها ..

وأدرك الحقيقة ..

لقد فقد حاسّة السّمع ..

وفى مرارة ، تراجع هاتفًا :

ــ مهما حدث .. مهما حدث .

ثم ألقى بنفسه من فوق الصخور ، وغاص فى أعماق بحر بلا ألوان ..

* * *

عقد (محمود) حاجبيه ، وأخذ يفرك كفّيه فى عصبيّة ، وهو يقول لأفراد فريق (نور) ، الذين اجتمعوا فى منزل هذا الأخير :

ــ سحابة غامضة ، وكوكب سلبىّ مماثل ، ومكُّوك فضاء آخر .. ما الذى يمكن أن يقودكم إليه كل هذا يا رفاق ؟

مسحت (نشوى) دمعة حزينة ، انحدرت على وجنتها ، وغمغمت :

لقد استشرت الكمبيوتر ، فمنحنى استنتاجًا مخيفًا ..

سألها (رمزى) فى اهتمام :

ــ أيتوافق مع استنتاجى ؟

أومأت برأسها ، مغمغمة :

ــ إلى حدٍّ ما .

هتفت (سلوى) فى حِدّة :

— فلتذهب كل هذه الاستنتاجات إلى الجحيم .. المهمُّ هو أنْ نستعيد (نور) .

التفت إليها (رمزى) ، قائلًا فى هدوء :

— هذا هو الغرض الرئيسىّ من كل ما نفعله يا (سلوى)، فهدفنا من كل هذه المحاولات هو استعادة (نور) .

ثم أطرق بعينيه ، متحاشيًا مواجهة عينيها ، وهو يستطرد فى مرارة :

— لو أنه على قيد الحياة .

* * *

غاص (نور) فى أعماق البحر ، وراح يضرب بذراعيه فى قوّة ، ويدفع جسده إلى الأمام ، ويقاوم حَيْرته ، إزاء تلك الصُّوَر المعكوسة ، السلبيّة ، لأعماق البحر ، على حين تصاعد الطّنين فى أُذنيه ، وتزايد صداعه فى عُنف ..

ومن أعماقه ، تصاعدت موجة عارمة من المرارة ..

مرارة هائلة ، اجتاحت كيانه كله ..

مرارة لم تنته ، حتى بلغ شاطئًا خلفيًا ، فصعد إلى السطح ، واختفى بين زوج من الصخور الناتئة ، وراح يلهث فى انفعال ، ويدرس موقفه ، من خلال موجة المرارة التى تجتاحه ..

ها هو ذا فى أُسوإ موقف عرفه منذ بدأ عمله ..

بل منذ مَوْلده ..

إنه على سطح كوكب غريب ..

وعالَم آخر مُخيف ..

بلا وسيلة للفرار ..

وبصداع عنيف ..

وطنين رهيب ..

وصمَم ..

ولكنه لن يستسلم ..

على الرغم من كل هذا لن يستسلم ..

وفى توتُّر ، راح يتحسَّس المسدَّس اللّيزرىّ ، الذى انتزعه من رجل ذلك العالَم الآخر ، ويتطلَّع إليه فى حَيْرة ..

هذا المسدَّس بالذات يثبت صحة نظريته ..

إنه يشبه تمامًا مسدَّسات الأرض ..

لولا انعدام الألوان وانعكاسها .

هذا يؤكِّد أنَّ ذلك العالَم يشبه الأرض تمامًا ..

إنه صورتها السلبيَّة ..

قرينها المعكوس ..

عالَم آخر ، يندفع نحو عالَمه ..

وهو فى هذا العالَم كائن غريب ..

كائن مجهول مُخيف ..

من المؤكد أنهم سيتطلَّعون إلى لَوْن جسده فى ذُهول وحَيْرة ، وهم يقارنونه بألوان أجسادهم البيضاء والسوداء ..

هذا لو أنهم أوقعوا به ..

ابتسم فى مرارة ، وهو يغمغم بصوت مَسْموع :

ـــ لن يفعلوا أبدًا .

وفى هدوء ، راح يتطلَّع إلى مُؤشِّر الطَّاقة فى المسدَّس ، ثم أزاح زرًّا فى جانبيه ، وهو يستطرد :

ـــ سأدَّخر شحنة خاصَّة من الطَّاقة ؛ لأضمن أنهم لن يفعلوا .

تنهَّد فى عُمْق ، وأردف فى توتُّر :

ـــ لو أن القواعد هنا تشبه مثيلتها على كوكب الأرض .

قال هذا ، وراح يتطلَّع إلى ذلك العالَم الممتدّ أمامه فى حَيْرة ..

كان من العسير على عينيه أن تتآلفا مع تلك الصُّورة السلبيَّة المعكوسة ، على الرغم من محاولاته المستمرَّة لذلك ..

وكان أكثر ما يضايقه هو ذلك الصَّمَم ، الذى يحجب عنه كل الأصوات ..

ومن بعيد لاح له جسد يقترب ..

وبكل تركيز ، حاول تمييز ذلك الجسد ..

وفجأة برز أمامه جسدٌ بشرىّ ، لرجل يرتدى زيًّا أشبه بزِىّ رجال الفضاء ..

وهبَّ (نور) من مكانه ، وانقضَّ فجأة على الرجل ، وكال له لكمة فى معدته ، وهو يهتف :

ـــ ابتعد يا رجل .

انثنى الرجل فى ألم ، ولم يلمح (نور) ملامح الرجل ، من خلف زجاج خوْذَته اللامع الداكن ، الذى يبرق ببريق أسود مخيف ، ولكنه كان واثقًا من أنه يشبه الملامح البشريَّة تمامًا .

وضمَّ قبضتيه فى قوَّة ، وهَوَى بهما على مؤخرة عنق الرجل ، فأسقطه أرضًا ، وخامرته رغبة قويَّة فى أن يرى وجه الرجل ، فانحنى ، وتردَّد لحظة ، ثم انتزع خوْذة الرجل دفعة واحدة ، وتراجع فى حِدَّة ..

نفس ما توقَّعه تمامًا ..

وجه بشرىّ بلا ألوان ..

وجه سلبىّ معكوس ..

وفى مرارة تراجع (نور) ، وأشاح بوجهه ، مغمغمًا :

— لابُدّ لى من مغادرة ذلك العالَم .. لابُدّ ..

ودسّ المسدّس اللّيزرىّ فى حزامه ، وسار فى خطوات متثاقلة إلى خارج مخبئه ..

وفجأة تسمّر فى مكانه ..

لقد كان المكان محاطًا بعشرة رجال ، يرتدون نفس الزّىّ الفضائىّ ..

لقد وقع (نور) ..

وقع الرائد الأرضىّ فى الفخّ .. فخّ العالَم الآخر ..

* * *



٥ — السُّقوط ..

تقافزت أصابع (نشوى) فوق أزرار الكمبيوتر فى سرعة وانفعال ، وهى تتابع ما يتراصّ على الشاشة من حروف وكلمات ، قبل أن تعتدل جالسة ، وتهتف فى حدّة :

— لقد كنت على حقّ يا (رمزى) .. استنتاجك صحيح تمامًا .

قالت (سلوى) فى عصبيّة :

— هل سيعيد إلينا هذا (نور) ؟

رمقها الجميع بنظرة مُشْفِقَة ، وقال (رمزى) :

— ماذا تقول آخر تقارير البحث ؟

أجابه (محمود) فى توتُّر :

— إنهم يؤكّدون أن المكّوك قد تحطّم .

هتفت (سلوى) فى انزعاج :

— و (نور) ؟!

ناولها ورقة مطويّة ، قائلًا :

— هذا ما وصل بشأنه .

التقطت الورقة ، وفضتها فى لهفة ، والتهمت محتوياتها بعينيها التهامًا ، ثم هتفت :

ــ أيعنى هذا أنَّ (نور) على قيد الحياة ؟

أومأ (رمزى) برأسه إيجابًا ، وقال :

ــ هذا صحيح ، ولكنه فى موقف لا يُحسد عليه .

وشرد ببصره مستطردًا فى قلق :

ــ إنه ضائع فى عالم مجهول .

* * *

توتَّرت عضلات وجه (نور) فى شِدَّة ، وتحفَّز جسده كله للقتال ، مديرًا عينيه فيما حوله ، وفيمن يحيطون به ، وهو يقبض على المسدَّس الليزرىّ فى قوَّة ..

كان من الواضح أنه من المستحيل أنْ يتغلَّب على الرجال العشرة ، وهو لا يملك سوى مسدس ليزرىّ واحد ..

ولكنه يأبى أن يستسلم ..

يرفض أن يتحوَّل ــ فى هذا العالم ــ إلى حيوان مختبر ..

وبهذه الفكرة وحدها أطلق (نور) أوَّل خيط من خيوط أشعة المسدَّس الليزرىّ ..

حتى خيط الأشعة كان عجيبًا ، فى هذا العالم .

لقد كان خيطًا داكنًا .. رماديًا .. مدهشًا ..

ولكنه أصاب هدفه ..

أصاب كتف أحد الرجال العشرة ، الذين تراجعوا فى دهشة ، وكأنَّما لم يكن أحدهم يتوقَّع أن يهاجم (نور) أبدًا ..

واندفع أحدهم نحو (نور) وهو يلوِّح بذراعيه ..

كان من الواضح أنْ يهتف بشىء ما ، ولكن (نور) لم يسمعه ..

لقد تساءل فقط ، كيف ستكون لغة أهل هذا العالم المعكوس ؟!..

هل ستكون معكوسة أيضًا ؟!..

ولكنه لم يبحث عن الجواب ..

لم يحاول حتى أنْ يفعل ..

لقد أدار فُوَّهة مسدَّسه نحو ذلك الذى يَعْدو ناحيتَه ، و .....

وفجأة ، أطاحت طلقة أشعة بمسدَّسه الليزرىّ ..

ووجد نفسه أعزل ..

واندفع الرجال التسعة نحوه ..

واستدار (نور) ، وانطلق يَعْدو بدوْرِه ..

وفجأة ، أمسك به أحـد الرجـال ، ولحق به ثان ، وثالث ..

وراحت قبضتا (نور) تلكمان الرجال يَمْنةً ويَسْرَةً ، وراحت قدماه تركلانهم فى عنف ، وهم يقيِّدون حركته فى عُنف ، حتى شعر بإبرة تنغرس فى ذراعه ..

إنهم سيخدِّرونه ..

بالتأكيد سيفعلون ..

وراح يقاوم فى عُنف ، ولكنهم كانوا يقيِّدون حركته تمامًا ، حتى انتزعوا الإبرة من ذراعه ..

وانتظر أن يحيط به الدُّوار ..

وأن يَفْقِد وَعْيَه ..

ولكن هذا لم يحدث ..

فقط ظلَّ يشعر بالصُّداع والطَّنين ..

وتراخت الأيدى الممسكة به ، وكأنما انتهت مهمَّتها ، فدفعها بعيدًا عنه ، صارخًا :

ـــ كفَى .

ولكن صرخته جعلتهم يعودون للتشبُّث به فى قوَّة ، ويجذبونه نحو طوَّافة تَقْبَعُ على مَقْرَبة من المكان ..

كان من الواضح أنهم لن يتخلَّوا عنه أبدًا ..

وأدهشهم أنه قد استسلم لهم فجأة ، وسار معهم طواعيةً ، وكأنما أدرك عُقْمَ المحاولة ..

ولكن الأمر كله كان مجرَّد خدعة ..

خدعة تعلَّمها (نور) من رفيقه (رمزى) ..

لقد كان يعلم أن إصرارهم على إلقاء القبض عليه يجعل أعصابهم متوتِّرة ، مشدودة ؛ لذا فقد تظاهر بالاستسلام لمصيره ، حتى يرخى أعصابهم كلها دفعة واحدة ، و .....

ويَهْجُم ..

ولقد فعل ..

لم يكد الرجال يسترخون ، حتى انفجر هو كقنبلة مَوْقوتة ، فانقضَّت قبضته على أقربهم إليه ، وكالت له لكمة كالقنبلة ، هشَّمت زجاج خوْذَته ، وفكَّه ، وأسنانه ، وانطلقت القبضة الأخرى فى معدة رجل ثان ، وقفزت قدمه بين ساق ثالث ، ثم اندفع (نور) نحو الطوَّافة ، وبقفزة رشيقة أصبح داخلها ، وصاح وهو يدفع قائدها بقدمه خارجًا .

ـــ اذهب .. إنها لى الآن .

كان عليه أن يترجم فى سرعة ، كل ما يذكره عن آليَّات

الطوَّافات ، إلى تلك الصُّورَة السلبيَّة المعكوسة ، التى يراها أمامه ..

ولقد حاول ، وأدار محرِّك الطوَّافة بسرعة قياسيَّة ، وارتفع بها ، قبل أن يبلغه الجنود ..

وارتفعت الطوَّافة على نحو غير منتظم ، ومالت على نحو بالغ الخطورة ، و (نور) يحاول السيطرة على أجهزتها فى صعوبة ..

وفجأة ، وجد نفسه فى مواجهة جبل ضخم ..

جبل بدا وكأنما قد ظهر أمامه بغتة ..

أو كأنما هو قد ميَّزه فجأة ..

وجذب ذراع الطوَّافة ، بكل ما يملك من قوَّة ، ولكنها ، وعلى الرغم من ارتفاعها ، ظلت تتجه نحو قمة الجبل ..

نحوها مباشرةً ..

* * *

لم يكن من السهل أن تعتاد عينا (نور) تلك المشاهد السلبيَّة ..

ولم يكن من الممكن له أن يتعامل معها بنفس بساطة تعامله مع عالَمِه ..

وكان عليه أن يعتمد كثيرًا على حظِّه ، وعلى مصيره المدوَّن فى لوح القَدَر ..

وفى ذلك اللوح ، لم يكن أجله قد حان بعد ..

لقد تجاوزت الطوَّافة حافة الجبل ، ولم ترتطم بها ..

تجاوزتها بربع المتر لا أكثر ..

ولكنها فقدت توازنها ..

وعلى الرغم من مهارته ، مالت الطوَّافة على نحو مخيف ، وارتطمت مروحتها بحافة صخرية ، و .....

سقط فوق الجبل ..

وفى صعوبة بالغة ، استخلص (نور) جسده من حطام الطائرة ، وشعر بالامتنان لصانعى زِىّ الفضاء هذا ، المقاوم للصَّدمات والخُدوش ..

وألقى (نور) جسده على قمة الجبل ، يلهث ، ويتأوَّه ..

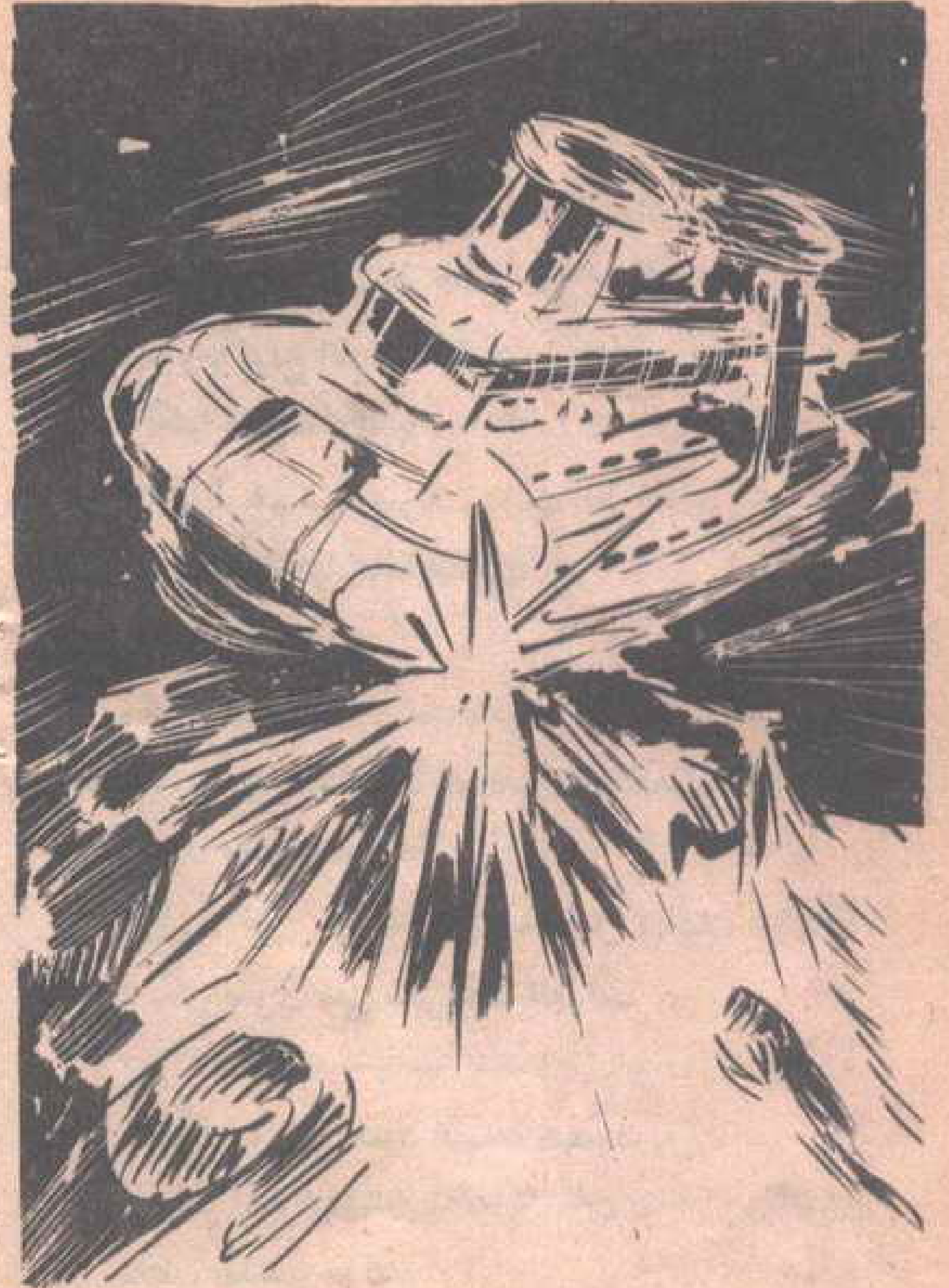
لم يكن يدرى متى ينتهى هذا العذاب ..

متى ؟..

وفجأة ، وجد الجنود التسعة يحيطون به ..

لم يشعر باقترابهم ..

فقط وجدهم حوله ..



وعلى الرغم من مهارته ، مالت الطوّافة على نحو مخيف ، وارتطمت مروحتها بحافة صخرية ..

إنه لم يسمعهم ..

لم يعُد يسمع شيئًا ..

وفى هذه المرّة ، لم يكن بقدرة (نور) أنْ يقاوم ..

أو يقاتل ..

أو يدافع ..

وفى هذه المرّة استسلم ..

استسلم حقًا .

* * *

تحرّكت (سلوى) فى عصبيّة ، داخل تلك الحجرة ، التى خصّصتها إدارة المخابرات العلمية للفريق ، وقالت فى توتُّر :

ـ طبقًا لما لدينا من معلومات ، أُعتقد أن (نور) فى خطَر بالغ .

أجابها (رمزى) فى خفوت :

ـ ولكننا لم نفقد الأُمل فى إنقاذه بَعْد .

هتفت فى مرارة :

ـ وهذا الأُمل يتضاءل فى كل لحظة تمرُّ .

اقترب منها (رمزى) ، وربَّت على كتفها ، مغمغمًا فى إشفاق :

— لا تسمحى للحزن بهزيمتك يا (سلوى) .. كان من الممكن أن يحدث ما هو أسوأ .

صاحت باكية :

— وما الأسوأ من ذلك ؟

أجابها فى صوت مرتجف :

— أن يَلْقَى (نور) حَتْفَه .

سالت دموعها فى غزارة ، وهى تقول :

— ومن قال إنه لن يفعل ؟

اعتدل (ممدوح) ، قائلًا :

— واجبنا هو أن نحُول دون ذلك .

هتفت فى يأس :

— كيف ؟

أجابها صوت حازم :

— لقد وضعنا يدنا على أوّل الخيط يا بنيّتى .

التفتت إلى مصدر الصوت ، وغمغمت فى لهفة :

— كيف يا دكتور (عبد الله) ؟.. كيف ؟

التقط أنفاسه بصوت مسموع ، وقال :

— لقد نجحت بعثتنا الجديدة ، فى الحصول على عيّنة من مادّة السُّحابة الغامضة ، وهذا يُعَدُّ انتصارًا كاملًا .

هتفت فى حنق :

— وماذا عن (نور) ؟

عقد حاجبيه ، وهو يجيب :

— إننا لن ننجح فى انتزاع (نور) من ذلك العالَم ، إلّا عندما ننجح فى تحليل تلك المادّة ، ومعرفة مكوّناتها ، وإلّا فإننا لن نفلح فى اختراق ذلك العالَم أبدًا ..

بكت فى حرارة ، وهى تغمغم :

— كل ما يهمُّنى الآن هو (نور) .. (نور) فقطْ .

تنهّد الدكتور (عبد الله) ، وقال :

— اطمئنّى يا بنيّتى .. إننا لم نفقده بَعْدُ .

ثم أَرْدف بعدَ هُنَيْهة من الصَّمْت :

— إنه مايزال بين أيدينا .. تمامًا ..

* * *



٦ ـ الأسير ..

استسلم (نور) تمامًا لهؤلاء الجنود ، الذين يرتدون زيًّا عجيبًا ، وجلس بينهم فى تلك السيّارة الكبيرة ، التى تنطلق بسرعة صاروخيّة ، عَبْرَ مناطق صخريّة جبليّة ، لتنتقل إلى منطقة صحراويّة ، أُجبرتها على خفض سرعتها على نحو ما ..

وتابعت عينا (نور) تلك المشاهد السلبيّة ، المعكوسة ، الخالية من الألوان تمامًا ، وتساءل : هل سيبهر عالمه سكّان ذلك العالَم ، إذا ما نجحوا فى الانتقال إليه ؟ ..

جذبه السؤال إلى عدّة أسئلة أخرى ..

هل يعلمون بوجود ما يسمّى بالألوان ؟ ..

ألديهم منظار طَيْفِىّ ؟! ..

كيف تقدّمت علومهم الضوئيّة ، من غير الألوان ؟ ..

شعر أن الإجابة الوحيدة تكمن فى أن عيونهم قويّة ، وأبصارهم حادّة للغاية ، مما يجعلهم قادرين على التمييز ، بين درجات الأبيض والرمادىّ والأسْوَد ، بحيث يحلّ ذلك محلّ الألوان فى عالمهم .

ولكن ماذا عن الفنون ؟ ..

إنهم نسخة سلبيّة من الأرض ، وهذا يَعْنى أن تاريخهم حافل بعشرات العباقرة ، فى عالَم الفن ، مثل (ليوناردو دافنشى) ، و (مايكل أنجلو) ، و (بابلو بيكاسو) ، و (سلفادور دالى) ، و (أدهم وانلى) و (جمال قطب) ، وعشرات غيرهم ، فهل وضع كل هؤلاء لوحاتهم باللونيْن : الأبيض والأسود فقط ؟! ..

شىء ما بدا له غريبًا ..

شىء ما أثار عقله وفضوله ..

كانت هناك نقطة ، أو عِدّة نِقاط ، تبدو له غير متناسقة ، أو غير طبيعيّة ، ولكنه لم يدرك ما هى ..

كان عقله حائرًا ، مشتّتًا ، ما بين صُداع عنيف ، وطَنِين رَهيب ..

كما أنَّ كل ما حوله كان يُرْبكه ..

تلك المشاهد ..

المناظر ..

كل ذلك العالَم الخالى من الألوان ..

ذلك العالَم السلبىّ المعكوس ..

وفجأة ، وقع بصره على مشهد مألوف ..

إنها قاعدة الفضـاء ..

صُورَة سلبية معكوسة لقاعدة الفضـاء المصريَّة ..

إن هذا الكوكب حقًّا صورة سلبية للأرض ..

صورة طبق الأصل .. ولكنها معكوسة ..

* * *

أوقف الطبيب الشرعيّ ، الدكتور (محمد حجازى) سيارته الصاروخية ، أمام إدارة البحث العلميّ ، التابعة للمخابرات العلمية ، وقفز منها ، واتجه نحو باب الإدارة فى سرعة ، لولا أن استوقفه رجل الأمن ، وهو يقول فى خشونة :

ــ تحقيق الشخصية من فضلك .

هتف الدكتور (حجازى) فى استنكار :

ــ (طارق) .. ألا تعرفنى ؟

أجابه رجل الأمن فى صرامة :

ــ تحقيق الشخصية يا سيِّدى .

تنهَّد الدكتور (حجازى) فى استسلام ، وأخرج من جيبه بطاقة معدنيَّة رقيقة ، ناولها لرجل الأمن ، مغمغمًا :

ــ لا بأس .. لن أقاوم .

تناول رجل الأمن البطاقة ، ودسَّها داخل تجويف رفيع ،

فى جانب جهاز كمبيوتر خاص ، فظهرت على الشاشة صورة الدكتور (حجازى) ، مع قائمة بكل المعلومات المدوَّنة عنه ، فقال رجل الأمن فى هدوء :

ــ كفَّك يا سيِّدى .

وضع الدكتور (حجازى) كفَّه على شاشة الكمبيوتر ، وهو يغمغم فى استسلام كامل :

ــ إننى أقدِّر ما تفعلون يا فتى ، وأحترمه حقًّا ، على الرغم من أنه يثير مَلَلِى وضَجَرِى ، ويدفعنى إلى تحاشى القدوم إلى هنا بقدر الإمكان ، فلقد تطوَّرت جراحات التجميل على نحو مذهل ، بحيث بات من السهل تحويل أى شخص إلى أى شخص آخر ، وإخفاء آثار خياطة الجلد بأشعَّة اللّيزر ، و .....

قاطعه رجل الأمن ، وهو يلتقط البطاقة من الجهاز ، ويناولها له ، مغمغمًا :

ــ يمكنك الدخول يا دكتور (حجازى) ، معذرة لطول الإجراءات ، ولكنها تعليمات الإدارة .

حَدَجَه الدكتور (حجازى) بنظرة دهشة طويلة ، وهو يتساءل كيف قاطعه على هذا النحو ، الخالى من الذَّوق ، إلا أنه اكتفى بعقد حاجبيه ، وهو يتناول بطاقته ، ويدسّها فى جيبه ، مغمغمًا :

ــ لا بأس يا (طارق) ، ما دامت هذه هىَ التعليمات .

ابتسم رجل الأمن لأوَّل مرَّة ، وهو يقول :

ــ شكرًا لتعاونك يا سيِّدى .

منحه الدكتور (حجازى) ابتسامة باهتة ، وهو يغمغم :

ــ لا بأس يا (طارق) ، لا بأس .

ودلف عَبْرَ بوَّابة المبنى وقبل أن يغلقها خلفه ، سمع الحارس يتنحنح ، قائلًا :

ــ معذرة يا سيِّدى ، ولكن .....

التفت إليه الدكتور (حجازى) فى جِدَّة ، قائلًا :

ــ ولكن ماذا ؟

اتسعت ابتسامة رجل الأمن ، وهو يقول :

ــ ولكن اسمى ليس (طارق) ، ولا يوجد بين رجال الأمن كلهم هنا ، من يُدعى (طارق) .

وكانت ابتسامته تخفى خلفها ضحكة كبيرة .. ضحكة ضخمة ساخرة ..

* * *

استقبل الدكتور (عبد الله) الدكتور (حجازى) فى حرارة ، فسأله هذا الأخير فى توتُّر :

ــ ما آخر تطورات الموقف ؟.. هل عثرتم على (نور) ؟

غمغم الدكتور (عبد الله) :

ــ تقريبًا .

ثم أردف فى صوت قوىّ :

ــ ونحن نحتاج إليك فى شِدَّة .

هتف الدكتور (حجازى) فى حماس وانفعال :

ــ أنا مستعد لعمل أى شىء ، من أجل (نور) .

تنهَّد الدكتور (عبد الله) ، وهو يقول :

ــ إنك تفعل هذا من أجل الأرض كلها يا دكتور (حجازى) .

أجابه الدكتور (حجازى) فى صرامة وعناد :

ــ ومن أجل (نور) أوَّلًا .

زفر الدكتور (عبد الله) ، وقال :

ــ لا بأس .. المهم أن تنجح .

ثم التقط من دُرج مكتبه أنبوبة اختبار ، تحوى مادَّة فِضيَّة خشِنة ، وهو يستطرد :

ــ لقد استخلصنا هذه المادَّة ، وكما ترى ، فكل ما لدينا منها هو عُشر جرام فحسب ، وبواسطته ، ينبغى أن تبذل أقصى جهدك ، لمعرفة نوع تلك المادَّة ، وابتكار مَصْل مضادّ لها .

وَدَوَّت رنَّة توتُّر فى صوته ، وهو يُرْدِف :

ـ وعلى نتائج عملك سيتوقَّف مصير (نور) ، ومصير كوكب الأرض بأسره .

* * *

توقَّفت السيَّارة التى تقلّ (نور) ، أمام مدخل القاعدة الفضائية المصرية ، وتمَّ فحص جميع ركَّابها ، بما فيهم هو ، بجهاز كشف الأشعة الخاصّ ، قبل أن يُسمح للسيَّارة بالدخول إلى القاعدة ، وفى داخلها اتجهت به السيَّارة إلى عنبر العزل الخاصّ ، حيث تمَّ إنزاله ، وإيداعه حجرة واسعة خالية ، راح يدير بصره فى جوانبها ، وقد تضاعف صُداعه ، وذلك الطَّنين ، الذى يدوِّى فى أعماقه ، وبدت الرؤية مشوَّشة نوعًا ما ، كما خُيِّل إليه أن نبضات قلبه ترتفع على نحو ملحوظ ..

وفجأة ، رأى باب الحجرة يُفتح ، ورأى رجلين يدلفان إليه ..

كانا يرتديان نفس الزِّىّ العجيب ، فغمغم (نور) :

ـ من أنتما ؟.. وماذا تريدان ؟

لم يسمع حتى صوته ، وتذكَّر مرَّة أخرى أنه مصاب

بالصَّمَم ، ولعن موقفه المعقَّد ، وهو يحاول رؤية ملامح الرَّجلَيْن ، من خلف زجاج خُوذَتَيْهما ، وهو يتساءل عمَّا إذا كانا قد أجاباه أم لا ، وعمَّا إذا كان سيفهم لغتهم أم أنها ستكون لغة خاصَّة ، أو معكوسة ..

واقترب منه أحد الرَّجلَيْن ..

ومن خلف زجاج الخُوذَة ، رآه (نور) ..

كان وجهه سلبيًّا معكوسًا ، بلا ألوان ، ولكن المهمّ هو أنه كان يتحدَّث ..

كان يهتف بعبارة ما ..

بكلمات لم يفهمها (نور) ..

وقال (نور) فى توتُّر :

ـ لست أسمعك .. لقد أصابنى الصَّمَم ، عندما هبطت بى سفينتى الفضائية على كوكبك .. هل تفهم لغتى ؟.. لست أسمعك .

رأى الرجل يتراجع فى دهشة ، ثم يلتفت إلى زميله طويلًا ..

كان من الواضح أنهما يتناقشان ، ولكنه لم يسمعهما ..

ولقد تساءل عمَّا أدهش الرجل ..

أهو صوته ؟..

أهو أسلوبه ؟..

أم لغته ؟..

وفجأة ، تعلّق بصر (نور) بشىء آخر ..

بمسدّس ليزرىّ ، معلّق فى حزام الرجل الآخر ..

وفجأة ، ارتسمت الخطّة كلها فى رأس (نور) ..

خطّة فرار كاملة متكاملة ..

إنه الآن داخل قاعدة فضاء ، ويمكنه أن يحصل على مسدّس ليزرىّ ..

إنها وسيلة للفرار ..

وسيلة للعودة إلى عالمه ..

* * *



٧ ـ المُقَاتِل العَنِيد ..

صافح الدكتور (حجازى) (رمزى) فى اهتمام ، وأشار إلى تلك المادّة الفِضّيّة ، قائلًا :

هل رأيتها ؟

أومأ (رمزى) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ نعم .. هل يمكنك التوصّل إلى طبيعتها يا سيّدى ؟

هزّ الدكتور (حجازى) كتفيه ، وقال :

ـ سأحاول .

ثم عاد يشير إلى المادّة ، مستطردًا :

ـ المشكلة هى أننا لا نملك سوى كَمّيّة ضئيلة للغاية .

مطّ (رمزى) شفتيه ، وقال :

ـ يمكنها أن تكفى ، بقليل من الحِرْص .

أجابه الدكتور (حجازى) :

ـ بل بالكثير منه يا وَلَدى ..

ثم التقط أنبوبة الاختبار ، مستطردًا :

— هيّا .. سنستخدم ذرّة واحدة منها .. وسنبدأ باختبار تفاعلاتها مع المواد المختلفة .. وبسرعة .

وتنهّد فى عمق ، قبل أن يُرْدِف :

— إننا أمل (نور) الوحيد .

* * *

وقف (نور) صامتًا ، يراقب الرجلين ، اللذين انهمكا فى نقاش طويل ، بدا واضحًا فى توتّرهما ، وتلويحهما بكفّيهما ، وتركّزت عيناه على المسدّس الليزرىّ ، المثبّت فى حزام أقلهما حجمًا ، فقال فجأة :

— معذرة أيها السيّدان .. لدىّ وسيلة للتفاهم .

التفتا إليه فى دهشة واضحة ، وكأنما لم يكن أيهما يتوقّع منه أن ينطق بأىّ شىء ، فاستطرد وهو يقترب منهما فى حَذَر :

— إننى لا أسمعكما ، ومن المحتمل ألّا تفهما لغتى ، أو أفهم لغتكما ؛ لذا فمن الممكن أن نستخدم أسلوب الإشارة .

قال هذا ، وراح يلوّح بكفّيه ، وهو يزداد اقترابًا منهما ، مُرْدِفًا :

— إن كوكبكما يشبه كوكبى ، وهذا يعنى أن لغة الإشارة مستخدمة هنا أيضًا ، و.....

وفجأة ، انتزع المسدّس الليزرىّ من حزام الرجل ، وقفز إلى الخلف ، صارخًا فى صرامة :

— حركة واحدة مُريبة ، وأطلق مسدّسى على الفور .

كان أكثر مايضايقه هو أنه لايسمع صوت نفسه ، ولايدرى مدى صرامته أو حِدّته ..

ولكن أثر صوته كان واضحًا ..

لقد تراجع الرجلان فى حركة حادّة ، وارتجفا فى شِدّة ، وأخذ أحدهما يلوّح بكفّيه ، كما لو كان يريد أن يقول شيئًا ، فهتف به (نور) فى صرامة :

— كفَى .. لست أسمعك ، ولست أرغب فى أن أفعل .. افتح الباب ، ومُرِ الحرّاس بعدم اعتراض طريقى ، وإلّا ثقبت جمجمتك بأشعّة مسدّسى هذا .

تبادل الرجلان نظرات قلقة ، ثم أومأ أحدهما برأسه إيجابًا ، فاتجه الآخر إلى الباب ، وفتحه ، ثم أشار إلى (نور) بالخروج ، فهتف (نور) فى حزم :

— سنخرج معًا .

تبادلا نظرة أخرى ، ثم سارا أمامه ، وكان من الواضح أن أحدهما يأمر الحرّاس بعدم التعرّض له ، إذ راحوا يخفضون



لقد تراجع الرجلان فى حركة حادّة ، وارتجفا فى شدّة ، وأخذ أحدهما يلوّح بكفّيه ، كما لو كان يريد أن يقول شيئًا ..

أسلحتهم ، و (نور) يسير خلف الرجلين ، ويصوّب إليهما مسدّسه اللّيزرىّ ، عبْرَ ممرّ طويل ، قادهم إلى ساحة الإطلاق ، حيث استقرَّ مكّوك فضائىّ وسطها ، فقال (نور) فى صرامة :

ــ هيّا .. سنستقل معًا مكّوك الفضاء هذا .

وبدت نبْرة أمل فى صوته ، وهو يستطرد :

ــ وسنعود به إلى كوكبى .

توقّف الرجلان فجأة ، والتفت أحدهما إلى الآخر بحركة حادّة ، ثم استدارا إليه ، وأخذ أحدهما يصيح بعبارات ما ، فصرخ (نور) :

ــ إذن فأنتما تفهمان لغتى .. هذا عظيم .. ستطيعان أوامرى إذن .. أو .....

فجأة ، نبّهته غريزته إلى شىء ما ..

أو ربّما هى ليست غريزته ..

ربّما كان ذلك الظل ، الذى سقط طرفه أمامه ..

لقد انتبه إلى أن أحدهم يهاجمه من الخلف ..

وكان عليه أن يصدّ الهجوم ..

وأن يصدّه فى عُنف ..

* * *

فرك الدكتور (حجازى) عينيه فى إرهاق، وهو يغمغم :
ــ من سوء الحظ أننى قضيت ليلتى السابقة كلها فى عمل مُتَّصِل، بعد تلك الكارثة، التى أصابت قطار (أسوان) الصاروخىّ، و .....
بتر عبارته، وكأنما لم يجد داعيًا لشرح الأمر كله لـ (رمزى)، وسأله فى اهتمام :
ــ ما نتائجنا النهائية، بالنسبة لتفاعلات تلك المادة ؟
أجابه (رمزى) فى توتُّر :
ــ إنها سلبيَّة التفاعل مع الأحماض، وكذلك مع القلويَّات .
مطَّ الدكتور (حجازى) شفتيه، وقال :
ــ هذا يَعْنى أنها مادة متعادلة .
صمت لحظة مفكِّرًا، وأردف :
ــ لا بأس .. هذا أفضل .
ثم استطرد فى اهتمام :
ــ وماذا عن اختبارات الهواء ؟
أجابه (رمزى) :
ــ إنه عديم التأثير عليها، فهى تحتفظ بنفس لونها، فى وجود الأكسوجين وفى غيابه، وحتى فى تركيزاته المختلفة .

تنهَّد الدكتور (حجازى)، وقال :
ــ حسنًا .. هذا يَعْنى أن اختباراتنا ما زالت تسير فى طريق مسدود، حتى هذه النقطة .. لا بأس .. سنجرى اختباراتنا الكهربية الآن .. سنرى ما إذا كانت تلك المادَّة السخيفة تستجيب للتيار الكهربىّ، أو التأيُّن، أو .....
قاطعته شهقة قويَّة، انطلقت من بين شفتى (رمزى)، فهتف فى توتُّر :
ــ ماذا حدث ؟
لم يسمع جوابًا من (رمزى)، فالتفت إليه، وهو يعقد حاجبيه فى توتُّر، فرآه يحدِّق فى أنبوبة الاختبار، التى تحوى المادَّة الفِضيَّة، فى مزيج من الدهشة والاستنكار، فكرَّر سؤاله فى عصبيَّة :
ــ ماذا حدث يا (رمزى) ؟
أشار (رمزى) إلى أنبوبة الاختبار، وهو يقول فى توتُّر :
ــ تلك المادَّة اللعينة .
هتف به الدكتور (حجازى)، وهو يسرع إليه :
ــ ماذا أصابها بالله عليك ؟
أجابه (رمزى) فى ارتباك :

— لقد تزايدت كمّيتها .

اتسعت عينا الدكتور (حجازى) عن آخرهما ، وهو يهتف :

— ماذا ؟!

ثم التقط الأنبوبة ، ورفعها إلى عينيه فى دهشة ..

كانت كمّيّة المادة قد تزايدت بالفعل ..

تزايدت على نحو مَلْحوظ ، جعل الدكتور (حجازى) يغمغم فى قَلَق :

— عجبًا !!

وصمت طويلًا ، وازداد انعقاد حاجبيه فى شِدَّة ، وهو يتطلّع إلى تلك المادة ، قبل أن يقول فى حزم :

— أظننا سنفحص تلك المادّة بالميكروسكوب الأيونىّ على الفَوْر .

سأله (رمزى) فى اضطراب :

— ما الذى تتوقّع أنْ نجده يا سيِّدى ؟

التفت إليه الدكتور (حجازى) ، وظلَّ صامتًا لحظة ، قبل أن يجيب فى صوت بالغ العمق :

— مفاجأة !! مفاجأة مذهلة !!

* * *

كان لردّ الفعل التّلقائىّ السريع ، الذى نمّته تدريبات المخابرات العلمية فى نفس (نور) ، الفضل الأوّل فى إنقاذه هذه المرّة ..

لقد لمح ذلك الظّل ، وهو يَهْوِى على رأسه بشىء ما ، فقفز جانبًا ، ومال بسرعة ، ورأى مِقْبَض مسدّس ليزرىّ يهوِى إلى جواره ، فى قبضة أُحد الجنود ، فتحرّك بسرعة ، وهَوَى على مؤخرة عنق ذلك الجندىّ بقبضة مسدّسه هو ، فأسقطه فاقد الوَعْيِ ، واستدار يواجه الآخرين ..

كانوا يهاجمونه فى شراسة هذه المرّة ..

وكان من الواضح أنهم لن يسمحوا له بالوصول إلى المكّوك الفضائىّ ..

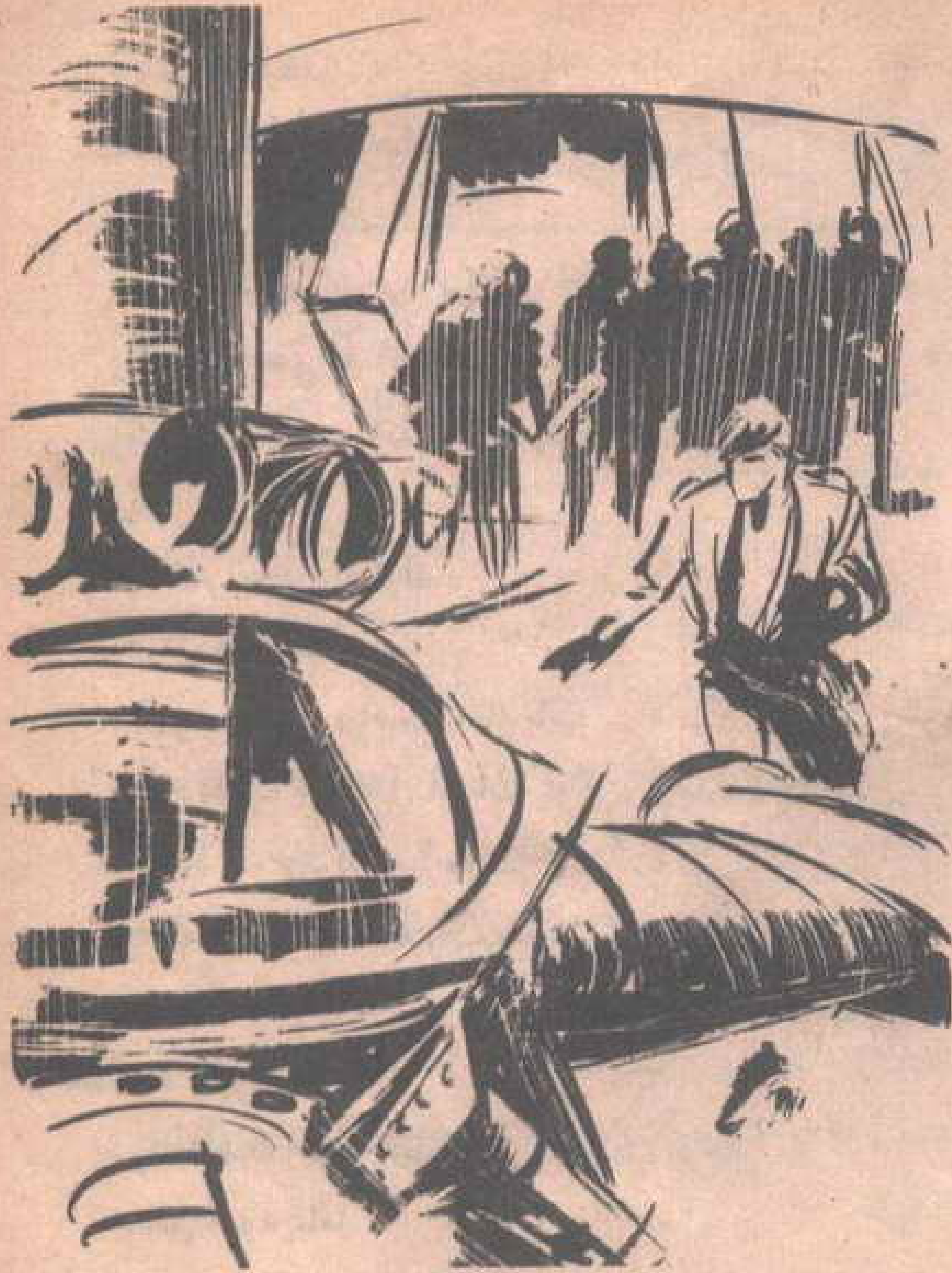
إنهم يمنعونه من مغادرة كوكبهم ، بإصرار عنيف ..

وانطلقت قبضة (نور) تحطّم فكّ أحدهم ، وأنف آخرَ ، عَبْرَ زجاج خوذتيهما ..

ثم راح يطلق أشعة مسدّسه اللّيزرىّ ..

وفى هذه المرّة غلبته غريزته ، وكراهيته للدّمار والعُنف ، فأطلق أشعة المسدّس على الأيدِى والسيقان فحسب ، دون أن يصيب من خصومه مقتلًا ..

ولقد أدهشه كثيرًا أنهم لم يحاولوا إطلاق أشعتهم عليه ..
ثم بدا له هذا طبيعيًا ..
إنهم لن يخاطروا بقتله ..
لن يحتملوا مسئولية قتل حيوان التجارب الأول في كوكبهم ..
وربّما كان هو الوسيلة الوحيدة لدراسة أهل الأرض، قبل الغزو ..
ربّما ..
لهذا لا ينبغي أن يسمح لهم بإلقاء القبض عليه حيًا أبدًا ..
لا ينبغي أن يمنحهم سلاحًا ضدّ عالمِه ..
وتراجع في سرعة، وهو يطلق أشعة مسدسه يَمْنةً ويَسْرَةً، صائحًا في حزم :
ــ لن تنالوا منّي ومن كوكبي أبدًا .. أبدًا ..
ثم اندفع فجأة نحو مكُوك الفضاء ..
وفي هذه المرّة لاحقته خيوط الأشعّة ..
كان من الواضح أنهم لا يَسْعَوْن لقتله، وإنّما لإصابته ..
كانوا يَسْعَوْن لمنعه من الوصول إلى المكُوك ..
وبأيّ ثمن ..
وكان عليه هو أن يصل إليه ..


ثم اندفع فجأة نحو مكُوك الفضاء ..
وفي هذه المرة لاحقته خيوط الأشعة ..

وبأىّ ثمن أيضًا ..

لقد كشف طبيعة ذلك العالم الآخر ..

لقد سَبَر غوْرَه ..

ولعلّه البشرىّ الوحيد ، الذى فعلَ ذلك ..

ولابدّ أن يعلم علماء عالَمِه ما توصّل إليه ..

ربّما كان هذا هو أملهم الوحيد فى صدّ الغزوِ ..

ربّما ..

لقد اقترب من المكّوك ..

اقترب فى شِدّة ..

وبقفزة ماهرة ، أصبح أمام باب ..

وراح يصعد سُلّمه فى قفزات قويّة ، ثم يدلف داخله ..

وفجأة ، وجد أمامه أحدهم ..

أحد سكان ذلك الكوكب السلبِىّ ..

وجده أمامه بلا ألوان ، سلبيًا ، معكوسًا ، يصوّب إليه مسدّسه اللّيزرىّ ..

ورأى أشعة اللّيزر تنطلق من مسدّس الرجل ..

تنطلق نحوه تمامًا ..

* * *

٨ ــ الكائن الغامض ..

أطلّ اهتمام جارف ، من عيون (رمزى) والدكتور (حجازى) ، وهما يتابعان تلك الصُّورَة ، التى تنقلها إليهما شاشة الميكروسكوب الأيونىّ ..

كانا قد وضعا ذرّة واحدة من تلك المادّة الفِضيّة ، وراحا يتابعان تفاصيلها فى شغف العلماء ، وقلق صديقين ، ارتبطت حياة صديقهما بنتائج أبحاثهما ودقّتها ..

ولقد نقلتِ الشاشة صورة لغلاف أشبه بشبكة ضخمة من الصُّلْب ، تحيط بنواة أشبه بجُلْمود من الفِضّة ..

وغمغم الدكتور (حجازى) فى اهتمام :

ــ إننى لم أشاهد مثل هذا الشىء من قبل .. انظر إلى ذلك الغلاف الشبكىّ ، الذى يحيط بذرّة تلك المادّة .. إنه متناسق تمامًا ، كما لو كان من إنتاج أعظم مصانع الشبكات الواقية فى الكوْن .

غمغم (رمزى) فى انبهار :

— بالتأكيد يا سيّدى ، فقد أنتجه الخالق (عزّ وجلّ) .

تمتم الدكتور (حجازى) فى خشوع :

— حتمًا .

ثم راح يتابع الصورة على الشاشة ، مستطردًا فى اهتمام :

— وهذه الشبكة تامّة التكوين ، وتحيط بذرّة الفِضّة إحاطة تامّة ، حتى أنه من العسير أن ......

بتر عبارته بغتة ، وراح يفرك عينيه ، مغمغمًا :

— يا إلهى !!.. يبدو أننى أحتاج حقًّا إلى قسط من الراحة ، لقد بدأت أفقد حُسن الرُّؤية .. إن الصُّورة تبدو أمامى مُهتزّة .

أدهشه أن أجابه (رمزى) بصوت شديد الانفعال :

— أنت فى خير حال يا سيّدى ، فالصُّورة تهتزّ حقًّا .

فتح عينيه على اتساعهما ، وهو يحدّق فى الصورة ، وقد بدا وكأن الشبكة المنتظمة تهتزّ فى قوّة ، وتنفصل عنها شبكة أخرى ، وذرّة فِضّيّة مماثلة ، على حين استطرد (رمزى) فى صوت مرتجف ، من شدّة اللهفة ، وقوّة الانفعال :

— ربّاه !! إن هذا الشئ اللعين ينقسم .

أجابه الدكتور (حجازى) ، فى صوت مُفعَم بالانفعالات :

— نعم يا (رمزى) .. إنه ينقسم فى بطء ، وبنفس الوسيلة المتّبعة فى عالم الكائنات الدقيقة .. إنه انقسام ثنائىّ بسيط(*) .

واجتاحه الانفعال ، وهو يُردِف :

— ألا تعلم ما الذى يَعْنِيه ذلك يا (رمزى) ؟. إنه يَعْنى أننا لسنا أمام مادّة خاملة .. إن هذا المسحوق الفِضّىّ اللعين هو مادّة عضوية .. مادّة عضويّة حيّة ..

* * *

تحرّك (نور) فى سرعة ، عندما انطلقت أشعّة اللّيزر حوله ، شعر بها تخترق زِيّه الخاصّ ، ولحم ذراعه اليُسرى ، وتنفذ من الناحية الأخرى ، وشعر بآلام رهيبة تصاحب ذلك ، فتحرّكت قبضته فى غضب ، وهوت على معدة الرجل فى عنف ، ثم ارتفعت لتستقبل خوذته ، حينما انثنى بتأثير اللّكمة فى معدته ، فهشمتها ، وعبَرَتها إلى فكّه كالقنبلة ..

(*) انقسام ثنائىّ بسيط : هو عملية تحدث فى الخلايا الجسمية للكائنات الحيوانية والنباتية ، والميكروبات ، وفيها تغلظ المادة الكروماتينية ، وتكون الصبغيات (الكروموسومات) ، التى تنشق طوليًا ، وتختفى النوية ، والغشاء النووىّ ، وتتكوّن مجموعتان من (الكروماتيدات) ، تتجه كل منها إلى قطب من قطبى الخلية ، ويتكوّن غلاف نووىّ حول كل مجموعة ، وينقسم (السيتوبلازم) إلى قسمين ، وتتكوّن خليتان متماثلتان : (مختصر) .

وفى حركة حادَّة ، جذب (نور) الرجل الفاقد الوَعْي إليه ، ودفعه خارج المكُوك ، وأغلق الباب خلفه فى إحكام ، ثم اندفع نحو كابينة قيادة المكُوك ..

لم يكن نظره قد تآلف بعْدُ مع تلك المشاهد السلبيَّة المعكوسة ، كما أن صُداعه كان قد تصاعد عشرات المرَّات ، وتحوَّل طَنِينُ أذنيه إلى هدير رهيب ، يكاد يُذيب مُخَّه لشدَّته ..

وبألم ، راح (نور) يضغط أزرار القيادة ، تمهيدًا للانطلاق بالمكُوك والعَوْدة به إلى كوكبه ، وهو يعلم أنها لن تكون بالمهمَّة السَّهلة أو الهيِّنة ، خاصَّة وأنه لا يعلم ما إذا كان المكُوك يحوى وقودًا كافيًا للرحلة ، وما إذا كان سكان ذلك العالَم الآخر سيسمحون بالإقلاع ، أو سينسفونه نسفًا ..

والأهم أنه لم يكن يدرى ، أيمكنه أن يقود المكُوك ، وهو يُعانى كل هذه الآلام أم لا ..

وكم أفزعه أن الرؤْيا أمامه قد باتت مشوَّهة ، وأنه قد أصبح عاجزًا عن متابعة تعليمات الإطلاق ، التى ترتسم على شاشة الكمبيوتر ، باللونين المتقاربين ، من درجات الرَّمادىّ ..

وكان على يقين من أن محاولته هذه تبدو أشبه بالانتحار.

ولكنه لم يتراجع ..

راح يُعِدُّ المكُوك للإقلاع فى عزم ، وهِمَّة ، وإن أخذ مصباح عنيد يضىء فى رأسه بضوء الخطر ، وراحت عبارة تهتف فى عقله فى إصرار :

ـــ هناك شىء غامض .. شىء غريب ..

وكان واثقًا من أن تلك العبارة على حق ..

إنه يشعر بذلك منذ البداية ..

هناك شىء غامض فى الأمر كله ..

شىء ينافى طبيعة الأشياء ..

شىء قد يَعْنِى الكثير ..

الكثير جدًّا ..

ولكن ما هو ذلك الشىء ؟.

ما هو ؟..

بدأ رأسه يدور فى شِدَّة ..

وارتفع الطَّنِين فى أذنيه ..

إنه يحتاج إلى وقت للإقلاع ..

ولكنه سيُقلع ..

سيُقلع إلى عالَمِه ..

عالَمِه الحقيقىّ ..

* * *

اقتحم الدكتور (حجازى) حجرة الدكتور (عبد الله) ، هاتفًا :

ـــ لقد توصَّلنا إلى مفاجأة مذهلة .

هبَّ الدكتور (عبد الله) من مقعده ، هاتفًا :

ـــ إلىَّ بها .. بسرعة .

هتف الدكتور (حجازى) ، وهو يلوِّح بكفَّيه فى انفعال :

ـــ تلك المادَّة الفضيَّة .. لقد أدركنا ماهيَّتها .

وتقاطر الانفعال من كل حرف من حروف كلماته ، وهو يستطرد :

ـــ إنها مادَّة حيَّة .

اتسعت عينا الدكتور (عبد الله) ، وهو يهتف فى ذُهول :

ـــ مادَّة حيَّة ؟!

وسقط فوق مقعده ، والدكتور (حجازى) يستطرد فى انفعال :

ـــ نعم .. إنها ميكروب .. فيروس فى الفضاء الخارجىّ .. أو من عالَم آخر .. فيروس مجهول .

غمغم الدكتور (عبد الله) فى صوْت مرتجف :

ـــ ولكن هذا رهيب يا دكتور (حجازى) .. إن تلك

السحابة ستعبُر غلافنا الجوىّ بعد أسبوعين على الأكثر ، ولو أنها سحابة فيروسية ، فسيَعْنِى هذا أن تتعرَّض الأرض لوباء طاحن مخيف .

وازداد صوته ارتجافًا ، وهو يغمغم :

ـــ وباء قد يَعْنِى الفناء .. الفناء التامّ للجنس البشرىّ .

هتف الدكتور (حجازى) فى انفعال :

ـــ اطمئن .. قد لا يكون الأمر بالخطورة التى تتصوَّرها .

غمغم الدكتور (عبد الله) فى ارتياع :

ـــ كيف ؟

أجابه الدكتور (حجازى) فى حماس :

ـــ هناك طبيعة جيِّدة مثيرة للجسم البشرىّ ، ألا وهى أنه يملك جهازًا مناعيًّا خاصًّا ، مزوَّدًا بخلايا تسمى خلايا (ت) ، وهذه الخلايا هى المسئولة عن تكوين الأجسام المضادَّة فى الجسم ، ضدّ أىّ جسم غريب يهاجمه ، بما فى ذلك الفيروسات المختلفة ، ولهذه الخلايا يعود الفضل فى المناعات الدائمة ، التى تكتسبها أجسادنا ، بعد إصابتنا ببعض الأمراض الفيروسية الخاصَّة ، كالحَصْبة ، والجُدَيْرىّ مثلًا ، وهى أيضًا التى تساعدنا على الحصول على الأمصال اللازمة ، ضد تلك الأمراض .

هتف الدكتور (عبد الله) :

ــ ماذا تعنى :

أجابه الدكتور (حجازى) منفعلًا :

ــ أعنى أنه يمكننا أن نحصل على مصل مضاد لتلك المادَّة ، يقينا من تأثيرها ، عند اختراقها غلافنا الجوّىّ ، إذا ما حقنّاها فى جسد شخص ما ، وحصلنا بعدها من جسده على المصْل .

هتف الدكتور (عبد الله) فى توتُّر :

ــ ومن هو ذلك الشخص ، الذى يقبل المخاطرة بنفسه إلى هذا الحدّ ؟

اعتدل الدكتور (حجازى) ، واكتسب صوته صرامة خاصّة ، وهو يقول فى حزم :

ــ أنا ..

* * *

شعر (نور) بدهشة حقيقية ، عندما مضت عشر دقائق كاملة ، منذ أصبح داخل مكُّوك الفضاء ، دون أن تجرى أيّة محاولة لاقتحام المكُّوك ، أو منعه من الانطلاق ، على الرغم من أن أجهزته تؤكِّد أنه يحوى الوقود اللازم ، وأنه يصلح لمغادرة ذلك العالَم ، إلى عالمه هو ..

ولكنه لم يهتم بذلك كثيرًا ..

إذا كان سكّان هذا العالَم قد قرَّروا تركه يرحل ، فهذا شأنهم .. سيستغلُّ الفرصة ويعود إلى عالَمه ..

وفجأة ، برزت فى رأسه فكرة أقلقته ..

من المحتمل أن هذا جزء من اختباره ..

من الممكن أن يكونوا قد تركوه يفعل ذلك ، ليختبروا ردود أفعاله إزاء المواقف الصعبة ..

فى هذه الحالة سينسفونه بعد أن يُقلع ، بواسطة مدافعهم اللّيزريَّة ، المثبتَّة فى أقمارهم الصناعية ، حول كوكبهم ..

لاشكَّ أن لديهم مثلها ..

لا ريب فى أنهم يملكون كل ما يملكه كوكبه ..

ولكن بصورة سلبيَّة معكوسة ..

ولكن هذا لن يدفعه للبقاء ..

سيرحل ..

سيرحل أيًا ما كان الثمن ..

إنه يفضِّل أن ينسفوه ، فى أثناء محاولته الفرار من عالمهم ، على أن يكرِّموه ، كما يفعل أهل كوكبه مع حيواناتهم الأليفة ..

ومن يدرى ؟.. قد ينجح فى الفرار من أسلحتهم ..

من مدافعهم اللّيزريّة ..

من اختباراتهم ..

ومرّة أخرى ، حاول أن يقرأ تلك الكلمات ، المتراصّة على شاشة الكمبيوتر ، إلّا أن تقارب لونها مع لون الشاشة ، وضعف إبصاره ، الذى يتزايد مع مرور الوقت ، منعاه من ذلك ، فغمغم فى سخط :

ـ فليكن ما يكون .

وضغط زرّ الإطلاق ..

وبدأ المكّوك رحلته ..

بدأها نحو المجهول ..

* * *



وضغط زرّ الإطلاق .. وبدأ المكّوك رحلته .. بدأها نحو المجهول ..

٩ ـ التجربة القاتلة ..

« إننى أرفض يا دكتور (حجازى) .. » ..

هتف الدكتور (عبد الله) بتلك العبارة فى حِدَّة وصرامة ، فى وجه الدكتور (حجازى) الذى عقد حاجبيه ، وهو يقول فى عصبيَّة :

ـ ماذا يَعْنى رفضك هذا ؟.. أنت تعلم أن العالَم كله معرَّض للخطر ، بل للفناء ، لو عَبَرَت تلك السحابة غلافه الجوِّىّ ، قبل صنع المَصْل اللازم ، فكيف ترفض أن ..... ؟»

قاطعه الدكتور (عبد الله) فى صرامة :

ـ إننى أرفض أن تتطوَّع أنت لذلك .

هتف فى غضب :

ـ لماذا ؟

صاح الدكتور (عبد الله) فى حِدَّة :

ـ لأنك ببساطة الشخص الوحيد ، القادر على متابعة التجربة .

صمت الدكتور (حجازى) ، وعقد حاجبيه فى ضيق ، على حين لوَّح الدكتور (عبد الله) بذراعيه ، وهو يستطرد فى عصبيَّة .

ـ أتعلم لماذا نستعين بك دوْمًا ؟.. لأنك أعظم علماء الطب الشرعىّ والسموم فى العالم ، وأنت الوحيد القادر على ابتكار الأمصال اللازمة لأغرب الأمراض وأعجبها ، فى أقصر الأوقات القياسية ، وهذا يتطلَّب منك ضرورة متابعة التجربة خطوةً خطوةً .

غمغم الدكتور (حجازى) فى توتُّر :

ـ ولكن من الضرورىّ أن يكون هناك متطوِّع ، لنحقن الفيروس الفضائىّ فى دمائه .

هتف الدكتور (عبد الله) :

ـ سنجد متطوِّعًا بين رجالنا ، أو بين المحكوم عليهم بالإعدام ، و .....

قاطعه الدكتور (حجازى) فى حِدَّة :

ـ لايمكننى أن أطلب من أىّ مخلوق الخضوع لذلك ، فلسنا ندرى ما إذا كُنَّا سنجد مصلًا أم لا .

هتف الدكتور (عبد الله) :

ـ سنجد متطوِّعًا بالتأكيد .

أجابه فجأة صوت حازم :

— إننى أوافقك فى هذا الشأن يا دكتور (عبد الله) .

التفت الاثنان إلى مصدر الصوت ، وعقد الدكتور (حجازى) حاجبيه فى حِدَّة ، وهو يقول :

— إننى أصرّ على رأيى يا (رمزى) .

ابتسم (رمزى) ابتسامة شاحبة ، وهو يقول :

— ولكنك لن تجبُر أحدًا على التطوُّع يا دكتور (حجازى) ، فلديك متطوِّع جادّ .

سأله الدكتور (حجازى) فى دهشة :

— ومن هو هذا الانتحاريّ ؟

ازدرد (رمزى) لُعابه بصوت مسموع ، وهو يقول :

— أنا .

حدّق الدكتور (حجازى) فى وجهه بدهشة ، هاتفًا :

— أنت ؟!

أجابه فى حزم :

— نعم .. أنا .

لم يكد يلمح علامات الاستنكار، فى وجه الدكتور (حجازى) ، حتى أسرع يستطرد :

— إنها فرصة مثالية يا سيِّدى ، فأنت خير من يمكنه دراسة التجربة ، وأنا طبيب فى الوقت ذاته ، وهذا يَعْنى أن أبلغك بكل التطوُّرات على نحو واضح ، وبعبارات ومصطلحات طبِّيَّة سليمة ، وبذا تنخفض احتمالات الخطإ إلى ما يقرب من الصفر .

هتف الدكتور (حجازى) فى حِدَّة :

— كلَّا .. إننى أرفض .

بدت ابتسامة (رمزى) أشدّ شحوبًا ، وهو يقول :

— لم يَعُد هناك مجال للرفض يا سيِّدى .. لقد سبق السَّيف العزل .

اتسعت عينا الدكتور (حجازى) فى هَلَع ، وهو يهتف :

— ماذا تَعْنى أيها التعس ؟

غمغم (رمزى) فى خفوت :

— لقد حقنت نفسى بالفيروس منذ لحظات .. لقد بدأت خطوات التجربة بالفعل ..

* * *

تضاعف توتُّر (نور) واضطرابه ، عندما انطلق به المكُّوك ، يشقُّ طريقه إلى الفضاء الخارجيّ ..

لقد كان يتوقع هجومًا ليزريًا فى أيّة لحظة ..

وكم أدهشه أن هذا لم يحدث ..

لقد عَبَرَ الغلاف الجوّىّ للعالَم الآخر فى سلام ..

وانطلق به المكُّوك فى الفضاء ..

واختلج قلبه فى سعادة ، على الرغم من الدُّوار العنيف ، الذى يحيط برأسه ، وراح يهتف :

— لقد نجحت .. لقد نجوت بمعجزة .. سأعود إلى عالمى .. إلى كوكبى .

ضايقه أنه لم يسمع حتى هتافه ، على حين تضاعف طَنِين أذنيه على نحو مؤلم ، فردَّد فى حزم :

— لا بأس .. لقد نجوْت من الخطر الدَّاهم ، وما هو إلَّا يوم واحد ، أو بعض يوم ، وأعود إلى عالمى ، وهناك ..

بتر عبارته بغتة ، عندما خُيِّل إليه أنه سيفقد وعيه ، وعاد يغمغم فى وَهْن :

— يبدو أننى أنزف الكثير من الدماء .. من الضرورىّ أن أضمِّد جرح ذراعى أوَّلًا .

مسح الدماء من ذراعه بكفِّه، ثم رفع كفَّه إلى عينيه .. وفجأة ، اتسعت عيناه فى ذهول ..

وتصلَّبت أطرافه ..

وفى صوت خافت راح يغمغم :

— هذا هو الشىء الغامض .. يا إلٰهى !! .. إنه أمر أوضح مما ينبغى .. كيف لم أنتبه إليه منذ البداية ؟

رفع كفَّه الأخرى إلى عينيه ، وهو يستطرد فى مرارة :

— كل الألوان .. كل الألوان .

ثم أسرع يضغط أُزرار القيادة ، هاتفًا فى انفعال :

— ينبغى أن أعود إلى عالمى .. ينبغى أن أعود إليه بأقصى سرعة ممكنة .

* * *

راح الدكتور (حجازى) يراقب (رمزى) فى اهتمام ، وهو يسأله فى قلق :

— ما الذى تشعر به ؟

عقد (رمزى) حاجبيه ، وهو يقول :

— ماذا تقول يا سيِّدى ؟

رفع الدكتور (حجازى) صوته ، وهو يهتف :

— ألا تسمعنى .

بدا صوت (رمزى) متوتِّرًا ، وهو يقول :

— عجبًا !!.. صوتك يبدو لى خافتا ، كأنما يأتى من بعيد ، وهو يزداد خفوتًا فى كل لحظة .

توتّر الدكتور (حجازى) بدوْره ، وهو يقول :

— إذن فذلك الفيروس اللّعين شغوف بالأعصاب المُخّيَّة .. لقد احتلَّ الآن أعصاب السّمع ، وراح يُضعفها تدريجيًا .

هتف (رمزى) :

— يا إلهى !!.. سيّدى .. إننى لا أسمعك .. لست أسمعك على الإطلاق .

حمل الدكتور (حجازى) طبقًا معدنيًا ، من أطباق المعمل ، وهوى به أرضًا ، هاتفًا :

— هل تسمعه يا (رمزى) ؟

كان للطبق رنين رهيب ، تردَّد صداه فى أرجاء المعمل طويلًا ، إلّا أن (رمزى) غمغم فى توتُّر :

— سيّدى .. لست أسمع شيئًا قطُّ .

ثم اتسعت عيناه فى ذُعر ، وهو يقول :

— الأضواء .

سأله الدكتور (حجازى) فى اضطراب :

— ماذا عن الأضواء ؟

هتف (رمزى) :

— إنها تبدو عجيبة .. عجيبة للغاية .

ثم ارتسم هلع رهيب فى عينيه ، وهو يهتف :

— يا إلهى !!.. (نور) ؟

صاح به الدكتور (حجازى) متوتّرًا :

— ماذا عنه ؟.. ماذا عن (نور) ؟

تشبَّث به (رمزى) ، وهو يهتف :

— ينبغى أن ننقذه بأقصى سرعة يا سيّدى .. ينبغى أن نساعده ، وإلّا ضاع إلى الأبد .. ضاع فى عالم آخر ..

* * *

توقّفت أفكار (نور) تمامًا ، وهو يقود مكّوك الفضاء ، عائدًا إلى الأرض ..

ومن عينيه انحدرت دمعة حزينة ..

لقد كان يعود إلى كوكبه ..

إلى أرضه ..

إلى عالمه ..

ولكنه كان حزينًا ..

حزينًا فى شدَّة ..

وفى بطء ، ضغط زِرّ الاتصـال ، وقال :

ـ هنا الرائد (نور) ، من مكُّوك الفضـاء .. لا داعى لتبادل النداءات أو الحوارات ، فلقد فقدت سمعى ، وأنا فى طريقى إلى الأرض ..

صمت لحظات ، محاولًا استرجاع كل ما مرَّ به ، قبل أن يستطرد :

ـ كل شىء يسير على ما يرام ، سأحاول الهبوط على نحو آمن ..

لاحت له قاعدة الفضـاء الأرضيَّة ، على شاشة جهاز المراقبة ، فتمتم مردفًا :

ـ أرجو اتخاذ الاستعدادات اللازمة للطوارئ .

وازدرد لُعابه على نحو مسموع ، متابعًا :

ـ فلست أدرى ما إذا كنتم تتوقَّعون عودتى أم لا .

اقترب من القاعدة الفضائية فى سرعة كبيرة ، وأطلق الصواريخ العكسية لتخفيف سرعته ، وهو يتمتم :

ـ لقد كانت تجربة رهيبة ، ولكننى أظن أنها ستفيدكم كثيرًا .. وهذا ما يجعلنى أشعر بالراحة .

سالت دمعة أخرى على وجنته ، وهو يتابع :

ـ لقد فقدت أنا الكثير ، ولكن الأرض لن تفقد شيئًا بإذن الله .. وهذا عزائى الوحيد .

تركَّزت أفكاره كلها على الهبوط ، فوق منصَّة الإطلاق ، فى منتصف قاعدة الفضاء المصرية ، وراح يعالج أجهزته فى سرعة وتوتُّر ، إلَّا أن مهارته تجاوزت كل الأخطار ، ولم يلبث المكُّوك أن استقرَّ ساكنًا على قاعدته ، فألقى (نور) رأسه على صدره ، مغمغمًا :

ـ لقد عُدت إلى الأرض .

ثم استطرد فى صوت أقرب إلى البكاء :

ـ الأرض التى لن أغادرها أبدًا ..

* * *



١٠ ـ العـائد ..

اندفعت (سلوى) داخل معمل التجارب ، حيث يتابع الدكتور (حجازى) تجربته مع (رمزى) ، وهتفت فى سعادة جارفة :

ـ لقد عاد (نور) يا دكتور (حجازى) .

ابتسم الدكتور (حجازى) ، وهو يقول :

ـ مرحى يا بُنَيَّتى .

ثم عاد وجهه يتجهَّم ، مردفًا :

ـ ولكن هذا لا يَعْنِى زوال الخطر عنه .

اضطربت لتجهُّمه ، وهى تسأله :

ـ ماذا تَعْنِى يا سيِّدى ؟.. لقد عاد بنفسه ، وهذا يكفى .. أليس كذلك ؟

هزَّ رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ـ كلَّا يا (سلوى) .. هذا لا يكفى على الإطلاق .

صاحت فى عصبيَّة :

ـ لماذا ؟

أجابها فى هدوء :

ـ لأنه يحمل فى جسده فيروسًا بالغ الخطورة ، يسيطر على أعصابه المُخِّيَّة كلها تقريبًا ، ولسنا ندرى ما الذى يمكن أن يفعله به فى البداية .

تراجعت فى هَلَع ، وهى تغمغم :

ـ فيروس بالغ الخطورة ؟!

أومأ الدكتور (حجازى) برأسه إيجابًا ، وهو يقول فى أسَف :

ـ هذا صحيح يا بنيَّتى .

سالت الدموع من عينيها ، دون أن تدرى ، وهى تغمغم :

ـ وماذا سيفعل به هذا الفيْروس ؟

أشار إلى (رمزى) ، قائلًا :

ـ نفس ما فعله مع (رمزى) .

التفتت إلى (رمزى) ، وتطلَّعت فى حَيْرة إلى نظراته المرتبكة ، الحائرة ، الشاردة ، ثم عادت تلتفت إلى الدكتور (حجازى) ، وتسأله فى توتُّر :

ـ وما الذى فعله بـ(رمزى) ؟



أومأ الدكتور (حجازى) برأسه إيجابًا ، وهو يقول فى أسف :
ــ هذا صحيح يا بنيَّتى ..

تطلَّع إليها الدكتور (حجازى) فى إشفاق ، ثم اقترب منها ، ووضع يده على كتفها ، مغمغمًا فى تعاطف :

ــ اسْمعى يا بُنَيَّتى .. لقد خاض (نور) تجربة عنيفة ، قبل أن يعود إلينا .. تجربة عاش خلالها فى عالَم خاصّ .. عالَم آخر ، يختلف تمامًا عن عالمه الذى يعرفه ، ولكن عودته تعْنى أنه قد أدرك كل شىء ، وأنه قد عاد من العالَم الآخر ، وعرف حقيقته ..

وصمت لحظة ، ثم أردف فى قوّة :

ــ وهو يعلم الآن حقيقة ذلك العالَم الآخر .. ويعلم أنه لم يكن سوى فى رأسه .. فى رأسه وحْده ..

* * *

زفر قائد القاعدة الفضائية المصرية ، وهو يقول فى توتُّر :

ــ إنها تجربة رهيبة يا دكتور (حجازى) .. صدِّقنى .. إننى لم أشعر بمثل هذا التوتُّر فى حياتى كلها

ثم أشار إشارة مُبهمة ، مستطردًا :

ــ إننا نحتفظ بذلك الرائد فى حجرة خاصَّة معزولة ، وإن كنت أجهل ما الذى أصابه !

غمغم الدكتور (حجازى) :

ثم تنهد فى عمق ، قبل أن يستطرد :

ـ عندما اخترق مكُوك (نور) الفضائى تلك السحابة الفيروسيَّة ، أصيبت أجهزة المكُوك كلها بالخَلَل ، فيما عدا برنامج العَوْدة ، المؤمَّن جيِّدًا ، ولكن بعض الفيروسات الفِضيَّة تسللت إلى الداخل ، وإلى جهاز (نور) العصبىّ ، فَفَقَدَ وعيه ، وعاد به المكُوك إلى الأرض .

صمت لحظة ، قلَّب خلالها شفتيه ، وكأنما يعجب لما حدث ، قبل أن يستطرد فى صوت عميق :

ـ ولقد حدث خلل طفيف فى برنامج العودة وبدلًا من أن يعود بالمكُوك إلى القاعدة هنا ، انحرف به إلى قُرب شاطئ البحر ، بعد مدينة (مرسى مطروح) بعدَّة كيلومترات ، وعندما استعاد (نور) وعيه ، كان ذلك الفيروس قد سيطر على أعصابه المُخِّيَّة ، فأصابه بالصَّمم ، وأصاب عصبه البصرىّ بخلل عجيب ، أدَّى إلى إصابته بعمى ألوان كامل ، وإلى استقباله الصُّور والمشاهد على نحو سلبىّ (نيجاتيف) وباللونين : الأبيض والأسود ، تمامًا كما حدث لـ(رمزى) فى المعمل .

غمغم قائد القاعدة :

ـ يا إلهى !!

استطرد الدكتور (حجازى) ، وكأنما لم يسمع ذلك التعليق :

ـ وهكذا تصوَّر (نور) أنه قد انتقل إلى عالم آخر ، وأن كل هؤلاء الرجال ، الذين يحاولون إنقاذه ، وهم يرتدون الأزياء الواقية ، هم أعداء ، أو هم مخلوقات ذلك العالم الآخر ، يحاولون أسره ، وكان من الطبيعى أن يقاومهم ، وأن يقاتلهم بكل شراسة .

غمغم القائد :

ـ لقد حاولوا شرح الموقف كله ، ولكنه لم يستمع إليهم .

ابتسم الدكتور (حجازى) ، قائلًا :

ـ بل لم يسمعهم ؛ لأنه لم يكن يسمع بالفعل .

أومأ القائد برأسه متفهِّمًا ، وقال :

ـ هذا صحيح ، فحتى عندما أحضروه إلى هنا ، دخلت أنا ومساعدى لمقابلته ، ونحن نرتدى الأزياء الواقية ، ولكنه بدا لنا عجيبًا ، وهو يتحدَّث إلينا كما لو كنا مخلوقين من كوكب آخر ، ثم فوجئنا به يهاجمنا فى عنف ، ويجبرنا على إيصاله إلى المكُوك ، ولقد أطعناه ، خشية أن تسُوء حالته ، إلَّا أنه لم

يكد يعلن عن رغبته فى الاستيلاء على المكّوك ، والإقلاع به إلى الفضاء ، حتى حاولنا منعه بكل الوسائل الممكنة .

صمت لحظة ، ثم استطرد فى تردُّد :

— وأصْدُقك القول إننى أمرت بقتله ، لو لزم الأمر .

مطَّ الدكتور (حجازى) شفتيه ، مغمغمًا :

— لقد كنت تؤدِّى واجبك .

ثم تنهَّد ، وسأله :

— أين هو الآن ؟

ابتسم القائد ابتسامة باهتة ، وقال :

— سأقودك إليه .

ثم عاد يسأله فى اهتمام :

— ولكن كيف سيمكنكم منع ذلك الفيروس من الانتشار فى الأرض ، عندما تصل تلك السحابة إلينا ؟

أجابه فى هدوء :

— إننا نُعِدّ الآن مصلًا واقيًا ، سيتم إعداد آلاف الجالونات منه ، خلال عشرة أيام ، على أن يتم تطعيم كل فرد فى العالم به ، خلال أربعة أيام لا غير ، وبعدها سينتهى كل شىء .

سأله فى لهفة :

— وهل ستنتهى تلك السحابة إلى الأبد ؟

هزَّ الدكتور (حجازى) رأسه نفيًا ، وقال :

— كلَّا .. أظنها ستعود بعد ألف عام .. أو ألفين .. وسيكون على الأجيال القادمة أن تستعدَّ لذلك .

وابتسم ، مستطردًا :

— ولست أظنهم سيبذلون جهدًا ضخمًا حينذاك .

* * *

كان (نور) واقفًا أمام نافذة معزله الخاص ، يراقب القاعدة الفضائية ، فى اهتمام ، عندما لحق به الدكتور (حجازى) وغمغم :

— حمدًا لله على عودتك سالمًا يا (نور) .. كيف حالك ؟

التفت إليه (نور) فى بطء ، وبدا وكأنه يحدِّق فى وجهه طويلًا ، قبل أن يغمغم :

— معذرة يا سيِّدى .. إننى لم أسمعك فى الواقع ، ولكن صورتك قد انعكست على زجاج النافذة ، وأظننى قد اعتدت الرؤية بتلك الصورة السلبيَّة .

غمغم الدكتور (حجازى) :

— لقد اتخذت الاستعدادات اللازمة لذلك .

وأخرج من جيبه عدة أوراق سوداء، وقلمًا أبيض اللون، وكتب على الورق بلون أبيض:

— أنا الدكتور (حجازى).

تهللت أسارير (نور)، وهو يهتف:

— كيف حالك أنت يا سيدى .. معذرة لعجزى عن تعرفك، فالرؤية على نحو سلبىّ مزعجة.

غمغم الدكتور (حجازى):

— إننى أقدر ذلك.

ثم عاد فكتب ذلك بالقلم الأبيض على الأوراق السوداء، ورأى (نور) الكتابة بلون أسود، على أوراق بيضاء، فغمغم مبتسمًا:

— شكرًا لك يا سيدى.

كتب الدكتور (حجازى) فى اهتمام:

— عودتك تعنى أنك قد استنتجت الأمر .. أليس كذلك؟

ابتسم (نور)، وهو يومئ برأسه، مجيبًا:

— هذا صحيح.

عاد الدكتور (حجازى) يكتب:

— كيف توصلت إلى ذلك؟

تنهد (نور)، وقال:

— جاء ذلك بمصادفة بحتة.

وعاد يلتفت إلى النافذة، مستطردًا:

— منذ هبوطى على الأرض، لم تتح لى رؤية نفسى، أو أىّ من أجهزتى، فلقد كان المكوك فى الداخل مظلمًا، ثم إنه قد غرق بعد مغادرتى له، كما أننى كنت مبهورًا متوترًا، مشدوهًا بذلك العالم السلبىّ العجيب من حولى، حتى أننى لم أنتبه إلى أن الخلل فى عينىّ أنا، وليس خارجهما.

صمت لحظة، وهو يبتسم، وكأنما يستعيد الذكرى، ثم استطرد فى صوت واثق هادئ:

— إننى حتى لم ألاحظ أن زىّ الفضاء عادة أبيض اللون، وليس أسود كما رأيته، وأن ظلّ ذلك التناقض يقلق رأسى طيلة الوقت، دون أن ألتفت إليه، من شدة قلقى واضطرابى، ورغبتى فى الفرار من ذلك العالم، الذى صنعته لمخيلتى.

صمت لحظة أخرى، شرد خلالها بصره بعيدًا، وبدا وجهه للدكتور (حجازى) أشد شحوبًا ونحولًا عن ذى قبل، وهو يردف:

— ثم أصابتنى أشعة اللّيزر فى ذراعى ، وسالت دمائى .. لم أنظر إلى الدماء فى حينها ، إلّا أننى مسحت كفّى بها ، وتطلّعت إليها ، وأنا أقود المكّوك مبتعدًا ، متصوّرًا أننى أغادر عالمًا آخر إلى عالمى ، ولحظتها أدركت الحقيقة كلها ، فلقد كانت دمائى بلا لون .. دماء سلبية ، بالأبيض والأسود فقط .. وأنا واثق كأىّ مخلوق حىّ من أن دمائى حمراء .

زفر فى عمق ، وأضاف :

— هنا فقط أدركت أن الخلَل يكمن فى عينىّ أنا ، وليس فيما خارجهما .. لحظتها فقط أدركت أن حُلّتى لم تكن سوداء ، وإنما هى بيضاء منذ البداية .. وقتئذ فقط رحت أربط كل العوامل بعضها ببعض .. الصداع العنيف ، وطَنين الأذنين وعمى الألوان الكامل ، والصَمَم .

وابتسم ، قبل أن يواصل :

— ولكننى لم أربط ذلك بفيروس فضائىّ فى الواقع ، وإنما بصدمة الارتطام بالأرض .

ابتسم الدكتور (حجازى) بدوره ، وهو يغمغم ويكتب :

— هذا طبيعىّ .

أومأ (نور) برأسه موافقًا ، ثم تابع فى هدوء :

— وكانت هذه الحقيقة تكفى لشرح كل شىء .. ولحظتها فقط أدركت لماذا حقننى الرجال بتلك الإبرة .

أجابه الدكتور (حجازى) كتابةً :

— كنّا نحتاج بالضرورة إلى عيّنة من دمك ، بعد ما رأينا عجيب تصرُّفك ، منذ عودتك من رحلتك ، فلقد استنتجنا أن جسدك يحوى بعض تلك المادّة العجيبة ، وأنها سرّ جُنُونك غير الطبيعى أو المنطقى ، وخاصةً بعد أن انتشلنا المكّوك ، وعثرنا فيه على ثقب يسمح بتسرُّب المادّة .

ثم ابتسم ، مستطردًا على الورق :

— ومن هذه العيّنة ، أمكننا استخلاص الفيروس الفضّىّ ، ودراسته ، والتوصُّل إلى المَصْل المُضادّ .

ابتسم (نور) فى شحوب ، مغمغمًا :

— يسعدنى أن كنت مفيدًا للبشريّة .

ثم نصب قامته ، مستطردًا :

— ومن حسن الحظ أننى قد حللت اللّغز الآخر فى الوقت ذاته .

تطلّع إليه الدكتور (حجازى) فى دهشة وحَيْرة ، ثم كتب فى الأوراق :

— أى لُغز آخر ؟

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

— لغز ذلك الكوكب السلبىّ ، الذى يبدو خلف السحابة الفضيّة ، هل نسيت ذلك يا دكتور (حجازى) ؟

ابتسم الدكتور (حجازى) فى خجل ، وكتب :

— كنت قد نسيته بالفعل .

أومأ (نور) برأسه ، مغمغمًا :

— عجبًا !!.. إنه اللغز الأساسىّ فى هذه العملية .

ثم اعتدل ، مستطردًا :

— والأعجب أن حلّه أبسط من ذلك بكثير .

ولوّح بكفّه ، مردفًا :

— لقد كانت السحابة فضيّة لامعة ، مما جعلها أشبه بمرآة كونيّة ضخمة ، تعكس من زوايا خاصة صورة كوكب الأرض ، وعند اقتراب المكّوك منها تعكس صورته ، فيبدو الأمر كما لو أنه مكّوك آخر ، يهاجم المكّوك الأصلىّ ، وهذه السحابة المتأيّنة تؤدّى إلى خلل الأجهزة ، وارتباكها ، وإلى جعل الصورة المنعكسة تبدو سلبيّة أيضًا .

هتف الدكتور (حجازى) فى دهشة :

— يا إلهى !!.. إنه حل بالغ البساطة بالفعل .

انتظر أن يعلق (نور) على عبارته ، ثم لم يلبث أن تذكّر أنه

لا يسمعها ، فعاد يكتبها ، ويتطلّع إلى (نور) ، الذى قال فى حزن :

— هذا صحيح ، ولكن بساطته هذه أفقدتنا ثلاثة من روّاد الفضاء .

غمغم الدكتور (حجازى) :

— إنه قدرهم .

لم يكتب العبارة لـ(نور) ، وإنما كتب :

— بمَ تشعر الآن ؟

ابتسم (نور) ، وقال :

— بجوع شديد .

وصمت لحظة ، ثم أردف :

— وبرغبة عارمة فى نوم عميق .

ابتسم الدكتور (حجازى) فى حنان ، وكتب :

— ستحصل عليهما يا ولدى ، وبعدها تبدأ الرحلة .

توقّف لحظة ، ليتطلّع إلى وجه (نور) ، ثم تابع :

— رحلة العلاج .

ابتسم (نور) مغمغمًا :

— نعم .. رحلة العَوْدة من ذلك العالم المخيف .. العالم الآخر ..

* * *

١١ ـ الختام ..

تطلّع (رمزى) إلى وجه (سلوى) فى اهتمام ، ومال إلى الأمام محدّقًا فيه جيّدًا ، قبل أن يغمغم :

ـ عزيزتى (سلوى) .. هل تستخدمين أدوات تجميل صناعية ، مستخلصة من (نيجاتيف) الصُّوَر ؟

عقدت حاجبيها مغمغمة :

ـ دُعابة سخيفة .

لوّح بكفّيه أمامه ، قائلًا :

ـ ماذا تقولين ياعزيزتى ؟.. أنسيت أننى لاأسمعك ، وأننى أراك على نحو سلبىّ معكوس ؟

ضحكت (نشوى) ، وهى تقول :

ـ وكيف ترانى أنا ؟

التفت إليها ، وهو يقول :

ـ رائعة .

تضرّج وجهها بحمرة الخجل ، وقالت (سلوى) :

ـ مازلت أجدها دُعابة سخيفة ، فلقد شفيت أنت و (نور) من ذلك الفيروس اللّعين تمامًا .

ضحك ، وهو يقول :

ـ ولكن هذا لايمنع أن تعتبرى كل دُعاباتى سخيفة ، ألست والدة خطيبتى ؟

ضحكت (نشوى) فى مَرَح ، على حين قطّبت (سلوى) حاجبيها ، وهى تقول :

ـ إنك تجعلنى أشعر وكأننى عجوز فى التسعين .

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

ـ يبدو أن عمرنا يفوق ذلك ياعزيزتى ، لو حسبناه بما واجهناه من مخاطر وغرائب .

أشارت إلى (نشوى) ، وهى تقول :

ـ احتفالنا اليوم خير دليل على ذلك ، فلقد كان (رمزى) زميلنا ، من قبل أن نتزوّج ، ولقد حضر بنفسه مولد (نشوى) ، ثم إذا بها تنضج بغتة ، بمعجزة علمية عجيبة ، وإذا به يتحوّل من صديق لوالديها إلى خطيبها ، وهاهى ذى تحتفل بعيد ميلاد غامض .

غمغم (رمزى) :

ـــ وقريبًا سأصبح زوجها ، وستصبحين جَدَّة لم تتجاوز الثلاثينات يا (سلوى) .

هتفت ضاحكة :

ـــ اصمت بالله عليك .. إننى أحاول أن أنسى .

ثم التفتت إلى (نور) ، مستطردة :

ـــ أليس كذلك يا (نور) ؟

لاحظت شروده ، وهو يتطلَّع إلى النجوم ، فاتجهت إليه تسأله :

ـــ فِيمَ تفكِّر يا (نور) ؟

ابتسم ، وهو يلتفت إليها قائلًا :

ـــ فى حياتنا العجيبة يا (سلوى) .. أتعلمين ؟.. إننا نعيش فى عالمٍ خاصٍّ بنا ..

وعاد يلتفت إلى النجوم ، مستطردًا فى شرود :

ـــ فى عالم آخر ..

* * *

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع ٣٢١٥

ملف المستقبل
سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمي

المؤلف



د. نبيل فاروق

٦٩

العالم الآخر

- كيف انقض "كوكب سلبيّ" على كوكب الأرض ؟!
- لماذا اضطر (نور) إلى خوض الفضاء ، ومواجهة سحابة فضية غامضة ؟
- أينجح (نور) في إنقاذ الأرض هذه المرّة ، أم يضيع في ذلك (العالم الآخر) ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، وقاتل مع (نور) وفريقه ، من أجل الأرض .



الثمن في مصر

وما يعادله بالدولار الأمريكي في سائر الدول العربية والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

العدد القادم : السّتارُ الأسْوَد